وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2 – أبو القاسم سعد الله–
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مسالك الدين وعلاقتها بالسياسة العسكرية عند الإباضية

65 – 296هـ/ 684– 909م

مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

تخصّص: تاريخ وسيط

إعداد الطّالب: محمد باحماني

إشراف الأستاذ الدكتور: نور الدين غرداوي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصفة
د/ خالدي عبد الحميد	رئيسا
أ.د/ نور الدين غرداوي	مشرفا ومقررا
د/ سليماني عبد القادر	عضوا
د/ الحاج عيسى إلياس	عضوا

السنة الجامعية:

1440– 1441هـ/ 2019– 2020م

الإهداء

إلى والديّ الكريمين برّا وإحسانا وإليهما يرجع الفضل في حسن تربيتي ورعايتي.

إلى كل العائلة من صغيرها إلى كبيرها.

إلى كل أساتذتي الذين على أيديهم أخرجني الله من الظلمات إلى النّور.

إلى كلّ أصدقائي الطّلبة الذين درست معهم.

إلى صديقي العزيز عبد الله عيسى.

إلى كلّ هؤلاء أهدي ثمرة عملي وعصارة جهدي.

شكر وعرفان

تحية شكر وعرفان إلى كلّ الذين أمدّواْ لي يد العون وساعدوني ولو بكلمة طيّبة في سبيل أن يرى هذا العمل النّور وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف نور الدّين غرداوي الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته القيمة والتي أفادتني كثيرا في إنجاز هذا البحث كما لا أنسى فضيلة الأستاذ المحترم الدكتور بن عميرة محمد الذي كان لي نعم السند والمعين من خلال تشجيعي في المضي قدما في إتمام هذا العمل.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
(...)	كلام محذوف
/	الفاصل بين التاريخ الهجري والميلادي
"..."	اقتباس مباشر
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
د.ب	د.ب
د.تا	دون تاريخ
ص	صفحة
ص.ص	صفحات متتالية
ط	طبعة
ط.خ	طبعة خاصة
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد
ح	حلقة
مر	مراجعة
انظر	الإحالة إلى مرجع ما

مقدمة:

تُعتبر الحركات المذهبية في الفترة الإسلامية الوسيطة، من أهمّ الرّوافد الفكرية والثّقافية التي عالجها المؤرخون والفقهاء والمفكّرون، كلٌّ حسب منهجه واختصاصه وانتمائه، ومن بين المذاهب التي تركت أثرا فكريا وحضاريا في المشرق والمغرب، المذهب الإباضي، الذي يُعدّ من أولى المذاهب نشوءا وتأسيسا، كما أنّ أتباعه سعوا جاهدين لأن يوجِدوا لأنفسهم مكانا على الساحة السياسية وغيرها في العالم الإسلامي، متّخذين لذلك صورا متباينة حسب قوتهم وضعفهم عبر العصور.

أسباب ودوافع اختيار الموضوع

وعلى ضوء هذا، كان اختياري لموضوع بحثي الذي أسميته: " **مسالك الدّين وعلاقتها بالسياسة العسكرية عند الإباضية** "، فالمقصود هنا بمسالك الدّين: الطُرق التي يمكن من خلالها تنفيذ أوامر الدّين وتطبيق تعاليمه، حسب الظروف التي يمكن أن يكون عليها أتباع المذهب الإباضي، وقد عدّدها فقهاؤهم ومفكّروهم وصنّفوها إلى أربعة مسالك، وهي: الظّهور، الدفاع، الشراء، الكتمان، ولكل مسلك من هذه المسالك خصائص ومميّزات تختلف عن المسالك الأخرى، وبما أنّ أتباع هذا المذهب صنّفوا – في كثير من الأحيان– ضمن خانة المعارضة ضدّ الأنظمة السياسية التي كانت حاكمة للعالم الإسلامي في عهدهم، ونخصّ بالذكر هنا الدولتان الأموية والعباسية، فإنهم بالتبع سيكونون عرضة لمخاطر الملاحقة والاضطهاد والاعتقالات، ممّا يستدعي –نظريّا– أخذ احتياطاتهم اللازمة لذلك، وعلى رأس تلك الاحتياطات: القوة

العسكرية والأمنية، التي ستدافع عنهم وتقف بالمرصاد لمن يتجرّأ على الهجوم عليهم، أو إلحاق الأذى بهم.

من هذا المنطلق، أردنا من خلال هذا البحث، بيان ما إذا كان أتباع المذهب الإباضي أولوا للجانب العسكري الاهتمام الكافي، وبخاصة عند مسلك الظهور، الذي يكونون فيه أحوج ما يكونون إلى القوة الدّفاعية، لدى ركّزت الحديث عن هذا المسلك أكثر، وعن الإمامات التي ظهرت فيه: إمامة اليمن، إمامة عُمان، إمامة الرستميين.

الدراسات السابقة:

طيلة مشواري في هذا البحث لم أصادف دراسة أكاديمية بهذا العُنوان "**مسالك الدين وعلاقتها بالسياسة العسكرية عند الإباضية**" والسبب –في اعتقادي– يعود إلى ندرة المادة العلمية في هذا الموضوع، وبخاصة الجانب العسكري الذي سكتت عنه أغلب المصادر الإباضية، ولم تصلنا عنه إلاّ معلومات شحيحة متناثرة بين صفحات المصادر القديمة، وقد نسغرب الأمر عندما نجد في الفكر السياسي الإباضي أنّ الحاكم عندهم لا يحتاج إلى جيش نظامي دائم، قابع في الثكنات، وعلى أهبة الاستعداد لتلقي الأوامر. غير أنّ هناك دراسات تناولت في طيّاتها ما له علاقة بمسالك الدّين، أو الجانب الأمني والدّفاعي للإباضية، دون أن يكون هناك بحث مستقلّ حول الأمر.

خطة البحث:

ولمعالجة هذه الإشكالية، أقدمت للبحث حول الموضوع، واخترت له عنوانا –كما أسلفنا– "**مسالك الدّين وعلاقتها بالسياسة العسكرية عند الإباضية**"، من ظهور

المذهب حوالي 65هـ، إلى سقوط الدّولة الرّستمية سنة 296هـ، وقسّمت مادته إلى مقدّمة وثلاث فصول رئيسة وخاتمة، الفصل الأوّل في الحقيقة هو فصل تمهيدي، يُعدّ أرضية للدخول في لبّ البحث وعُمقه، كان تحت عنوان: المذهب الإباضي، قسّمته إلى أربعة مباحث، تناولت في أوّلهم الحديث عن الظروف التاريخية لنشأة هذا المذهب، وفي ثاني المباحث تحدّثت عن أصل تسميتهم بهذا الاسم، وإذا ما كان لهم تسميات أخرى خلافه، أمّا في المبحث الثالث فكان حديثي فيه عن أبرز عقائده ومبادئه، وختمت هذا الفصل الأول بالمبحث الرابع الذي ركّز على انتشار المذهب بين المشرق الإسلامي ومغربه.

وفي الفصل الثاني الذي عنونته الإمامة، أو ما يُعرَف بمسالك الدّين عند الإباضية، وهذا بالتعريف بالمعنى الإصطلاحي لهذا الأمر، وبيان الفكر الإباضي التنظيري لهذا المصطلح الذي يقصد به: أنواع الإمامة التي تعتبر محور المسار السياسي للإباضية، وهي: إمامة الظهور، إمامة الدفاع، إمامة الشراء، إمامة الكتمان. وفي هذا الفصل يتم التطرق إلى كل إمامة على حدة، وبيان الفكر الإباضي في كل واحدة منها لأنها تعبّر عن المراحل التي مر بها الإباضية، مستعملين في كل منطقة وفي كل زمان السلوك الذي يلائم الأحوال السياسية فيهما.

والفصل الثالث والأخير، فكان عُنوانه: السياسة العسكرية للإباضية ومسالك الدين –مسلك الظهور أنموذجا–؛ إذ يتناول العلاقة التي يمكن ربطها بين مسالك الدين سابقة الذكر، وبين ما كان يحدث على أرض الواقع، وذلك بتتبع مسار الإباضية في الفترة المدروسة وبيان مدى توفر الجيش والقوة الدفاعية في مختلف مراحل الإمامة(مسالك الدين). وباعتبار أن إمامة الظهور هي أكثر المراحل التي تحتاج

إلى وجود سياسة عسكرية واضحة، وقوة دفاعية كافية، فإن هذا الفصل سيركز أكثر عليها، وهذا بذكر الشواهد التاريخية التي تؤيد ذلك، وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث، الأوّل يتحدّث عن إمامة الرستميين، ومدى اهتمامها بالجيش، والمبحث الثاني يتناول الحديث عن الإمامة الإباضية في عُمان وسياساتها العسكرية، والمبحث الأخير تطرّق إلى إمامة الإباضية في اليمن وحضرموت، ومنطلقاتها في السياسة العسكرية.

أهمّ المصادر والمراجع:

لمعالجة هذا الموضوع استعنت بعدد لا بأس به من المصادر والمراجع التي أفادتني في موضوع بحثي بدرجات متفاوتة، حسب صلتها الوثيقة بالموضوع، ويمكن تقسيمها إلى: مصادر إباضية، ومصادر غير إباضية سنية وشيعية، إضافة إلى المراجع الحديثة المختلفة.

أولا: المصادر الإباضية، وعلى رأسها كتاب " سير الأئمة وأخبارهم " لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني المتوفّى سنة 471هـ، حيث يُعتبر أهمّ كتاب إباضي جمع سير الأئمّة الرّستميين وأحداث دولتهم، وقد أفادنا بمعلومات قيمة بخصوص تأسيس الإمامة الرستمية، واستمدّ أبو زكرياء معلوماته من شيوخ الإباضية الذين التقى بهم وسمع منهم، حيث يتحدّث في هذا الكتاب عن انتشار الإباضية في بلاد المغرب، وثوراتهم ضد أنصار بني العبّاس، ثمّ تأسيس الدولة الرستمية سنة 160هـ /777م، كما يذكر الافتراقات التي حدثت في صفوف الإباضية.

ويعتبر كتاب " طبقات المشايخ بالمغرب " للدرجيني في المقام الثاني بعد كتاب أبي زكرياء، وتُوفي الدرجيني سنة 670هـ، وقد ورد كتابه هذا في جزأين، خصّص الأوّل منه لإعادة صياغة ما جاء في كتاب أبي زكرياء، أمّا الجزء الثاني فقد قسّمه إلى طبقات

عددُها اثنتي عشرة طبقة، عُمْر كلّ طبقة خمسون سنة، حيث صنّف المشايخ إلى طبقات وحدّد تواريخ وفاتهم، وبذلك أمدّنا بمعلومات قيّمة في هذا الصدد.

من المصادر الإباضية التي اعتمدنا عليها، كتاب " سير الشماخي " لصاحبه أبو العبّاس الشمّاخي المتوفّى سنة 928هـ، ويُعتبر هذا الكتاب كآخر مرحلة استقام فيه التأليف لدى الإباضية في مجال السّير، فهو كتاب شامل يبدؤه من البعثة النّبوية إلى أيّامه، ولم يقتصر الشمّاخي في هذا الكتاب على المصادر الإباضية فقط، بل تعدّاها إلى غيرها، مثل الرقيق القيرواني، وابن الصغير، والمسعودي، وهذا ما أعطى لكتابه قدرا كبيرا من المصداقية والموضوعية في تناول وقائعه.

كما يعدّ كتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، لصاحبه خميس بن سعيد الشقصي الذي عاش في القرن 11هـ، مصدرا إباضيا بالغ الأهمّية في بحثنا، أين أمدّنا بمعلومات قيّمة حول إمامة عُمان، وبالأخص ما له علاقة بالناحية الدفاعية، من إعداد للجيش وغيرها.

كما أنّ كتاب بيان الشرع لصاحبه محمد بن إبراهيم الكندي الذي توفي سنة 508هـ، أفادنا كثيرا في الجانب التنظيري لمسالك الديّن، أين استقينا منه رأي الإباضية الفقهي فيما يخصّ الإمامات المختلفة التي يمكن أن يكون عليها الإباضية: الظهور، الدّفاع، الشراء، الكتمان، حيث يُعتبر هذا الكتاب بيان الشرع أحد أهم كتب الإباضية، والذي يعوّل عليه العلماء في كشف أغوار المسائل الفقهية، وحل العويصات الشرعية واستبيان أصول الأحكام وأصول الدين وصحة العقيدة.

ومن المصادر الإباضية الهامة التي اعتمدنا عليها، كتاب: الدليل والبرهان لصاحبه العلامة الجزائري أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني توفّي سنة 570هـ، كتاب معظمه في أصول الدين وعلم الكلام، ولكنَّه في الحقيقة موسوعة مصغَّرة لمختلف الفنون من كلام، وتاريخ، وفلسفة، ومنطق، ورياضيات، وعلوم، وأخبار. اعتمدنا عليه فيما له علاقة بمسالك الدّين والأحكام الشرعية التي تترتّب عن كل مسلك منها.

ثانيا: المصادر غير الإباضية: ممّا اعتمدنا عليه في بحثنا كتاب للرّقيق القيرواني، الذي كان يتولّى رئاسة ديوان الرّسائل في بلاط بني زيري في أوائل القرن الخامس الهجري، هذه الوظيفة أتاحت له الإطّلاع على العديد من الوثائق والكتب، التي اعتمد عليها في كتابة كتابه " تاريخ إفريقيا والمغرب "، ومن المصادر غير الإباضية، نذكر ابن عذاري المرّاكشي الذي عاش في القرن السابع الهجري، وهو أخذ بدوره على الرّقيق، وألّف كتابه " البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب "، فهو يعتبر من أكمل المصادر المغربية وأشملها وأدقّها، لذلك يُعتبر كمرجع أساسي لأيّ باحث يريد الكتابة حول تاريخ المغرب.

والدارس لتاريخ المغرب لا يمكن له أن يستغني عن كتاب " العبر"، لصاحبه عبد الرّحمان بن خلدون المتوفى سنة 808هـ، رغم أنّه لم يضع للدولة الرّستمية في كتابه الضّخم عنوانا كما فعل مع أغلب دول المغرب الإسلامي، لهذا السبب نجد عدّة مؤرّخين معاصرين انتقدوه على ذلك، ومنهم أحمد توفيق المدني الذي اتهمه بسرقة دولة مغربية زاهرة، ورغم ذلك فإنّ كتاب ابن خلدون أعلى من أن يُهمله دارس لتاريخ المغرب الإسلامي.

ومن أهمّ المصادر من غير المصادر الإباضية اعتمدت عليها في بحثي هو كتاب "تاريخ الأئمة الرستميين " لصاحبه ابن الصغير، والذي يُسمّى بمؤرخ الدولة الرستمية، لأنّ ابن الصغير هذا عاصر الرّستميين في أواخر أيّامهم، لذلك فكتابه قيِّم، تناول فيه بعض الأمور التي أغفلتها كتب السير والطبقات الإباضية، كما أنّه كان مؤرّخا موضوعيا نزيها يتحرّى الصدق، ويُبدي إعجابه وتقديره للأئمة العادلين من الرّستميين، رغم عدم قناعته بالمذهب الذي ينتمون إليه، وهو المذهب الإباضي.

كما أفادنا كثيرا كتاب أنساب الأشراف، ألفه البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود المتوفّى سنة 270هـ، أمدّنا بمعلومات كثيرة فيما يخصّ تتبّع مسار تأسيس إمامات الإباضية في المشرق، وبخاصة أثناء صدامها مع القوات الأموية والعبّاسية. شأنه في ذلك شأن أبي الفرج الأصفهاني الذي توفّي سنة 356هـ، صاحب كتاب الأغاني في واحد وعشرين جزءا.

ثالثا: المراجع الحديثة كانت متنوعة، من أهمّها كتاب " الأزهار الرياضية في أئمّة وملوك الإباضية " لصاحبه الشيخ سليمان الباروني، وكتابه هذا لا يختلف كثيرا في طرحه عن المصادر القديمة، حيث اعتمد كثيرا على الشّماخي وابن الصّغير، ويتحدّث كتابه عن الإباضية في ظلّ الدولة الرّستمية من نشوئها إلى سقوطها، كما تُعتبر مؤلَّفات الشيخ علي يحي معمّر من أهمّ ما اعتمدنا عليها في بحثنا هذا؛ إذ اندرجت مؤلفاته تحت عنوان " الإباضية في موكب التاريخ "، قسّمه إلى أربع حلقات مُتّبعا فيها مسار الإباضية من النشوء إلى قدومهم إلى بلاد المغرب، أمّا الأستاذ محمد علي دبّوز ومؤلفه الضّخم " تاريخ المغرب الكبير"، فإنّنا لم نستطع الاستغناء عنه، نظرا لما قدّمه من معلومات قيّمة عن الإباضية في المغرب الإسلامي عموما، وفي المغرب الأوسط خصوصا.

وأمّا كتاب " الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي " لصاحبه الدكتور محمود إسماعيل، فكان معتمدنا في كثير من فصول البحث نظرا لجودته، خاصة في دراسته للجانب السياسي، فهذا الكتاب تطرّق إلى تاريخ الصفرية والإباضية بالمغرب الإسلامي والآثار التي أحدثوها فيه، واعتنى الكاتب في مؤلّفه بالجانب السياسي أكثر من الجوانب الأخرى.

ويُعتبر كتاب " الدولة الرستمية " للأستاذ إبراهيم بحّاز، من أهمّ المراجع التي اعتمدنا عليها، وإن كان اهتمامه أكثر كان بالجوانب الاقتصادية والفكرية للإباضية في عهد الدولة الرّستمية، على خلاف بحثنا الذي ركّز على الجانب السياسي والعسكري لهم، وتطرّق في كتابه القيّم إلى مسار الإباضية وكيفية قدومهم إلى بلاد المغرب، وكيف نجحواْ في تأسيس دولتهم، ثمّ تطرق إلى أوضاع هذه الدّولة اقتصاديا وفكريا، وهذا دون إغفال المسار السياسي لهذه الدولة.

كما كان اعتمادنا بشكل كبير على كتاب "الفكر السياسي عند الإباضية" لعدّون جهلان، خاصة فيما يتعلّق بمسالك الدّين، وبالفكر التنظيري لها، كما لا ننسى كتاب "حركة الخوارج" للطيفة بكّاي، والذي أمدّنا بمعلومات وافرة وقيّمة حول البدايات الأولى للحركة الإباضية ككيان سياسي معارض للدولتين الأموية والعباسية، وتطرّقت إلى أهمّ الصدامات العسكرية التي كانت بينهم. أمّا كتاب "حركة أهل الدّعوة والاستقامة" لبكير أعوشت فقد استفدنا منه كثيرا في جانب إمامة الإباضية في اليمن وحضرموت، كما تعرّض لنقد هذه الحركة ما كان سببا لتوضيح كثير من الأمور حولها.

كما كان لمقال الأستاذ علي عشّي "الجيش الرستمي دعوى الغياب ومقتضى الحضور" بالغ الأهمية في بحثنا، أين أرشدنا إلى عديد المصادر التي تحدّث أو إن شئت قل لمّحت إلى سياسة الرستميين العسكرية، شأنه في ذلك شأن مقال الأستاذ

بحاز إبراهيم "السياسة العسكرية عند الرستميّين" الذي تطرّق إلى وجود الجيش الرستمي، وإلى أبرز معاركه وأسلحته.

المنهج المتبع:

أما المنهج الذي اتبعته، فقد حاولت استقصاء المعلومات، واستنتاج الملاحظات، دون إهمال المنهج التاريخي السردي لأهم المعارك والأحداث التي تخدم الموضوع. وبحكم قلة المادة التاريخية كنت مضطرا إلى الاعتماد على الاستقراء والاستنتاج في كثير من الأحيان.

الصعوبات المعترضة للبحث:

في خضمّ هذا البحث المضني، واجهتني مجموعة من الصعوبات والمشاكل، اعترضتني كما تعترض أي باحث مبتدئ مثلي، نذكر منها: تشتّت مصادر البحث ومراجعه –على قلّتها– في مختلف المكتبات، وصعوبة الحصول على بعضها، خاصة المصادر منها، كما أنّ أهمّ صعوبة اعترضتني في هذا البحث هو سكوت أغلب المصادر الإباضية –التي هي أدرى بشؤون أتباعها من غيرهم– عن الحديث عن الجانب العسكري لهم، إلاّ بعض الإشارات العابرة، أو المقتضبة، وهذا ما اضطرّنا في كثير من الأحيان أن نلجأ إلى الاستنتاج والمقارنة، لإثبات معلومة أو نفيها.

ولا يفوتني في الأخير، أن أشكر كلّ من وقف إلى جانبي أو أمدّ لي يد العون في هذا العمل، وأخصّ بالذكر الأستاذ الفاضل المشرف الدكتور نور الدّين غرداوي، ومن قبله، أستاذي الدكتور محمد بن عميرة، اللذين لم يدّخرا جهدا في سبيل إرشادي ونصحي حتى يخرج هذا العمل على أحسن وجه، لذلك فإن وُفّقت، فمن الله، وإن كان غير ذلك فإنّ حسبي أنّني حاولت قصارى جهدي، ولم أدّخر لذلك شيئا. فالله

نسأل التوفيق والسداد وهو وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وسلم.

الفصل الأول:

المذهب الإباضي

المبحث الأول: الظروف التاريخية لنشأة المذهب

المبحث الثاني: أصل تسمية المذهب

المبحث الثالث: أهمّ عقائده ومبادئه

المبحث الرابع: أتباع المذهب في المشرق والمغرب

الإباضية مذهب من المذاهب الإسلاميّة، ويعتبر من أولى المذاهب الإسلامية نشوءا، وكان ذلك على يد الإمام التابعي جابر بن زيد، ويستند في منهجه المعرفي إلى المصادر المتّفَق عليها بين المسلمين: الكتاب والسنّة والاجتهاد بأوسع معانيه. فما هي الظروف التاريخية لنشأة هذا المذهب؟ وما أصل تسميته بهذا الاسم؟ وهل له تسميات غيرها؟ ثمّ ما هي أبرز عقائده ومبادئه؟ وما هي الأقطار التي انتشر فيها؟ هذا ما سنتناوله في هذا الفصل.

المبحث الأول: الظروف التاريخية لنشأة المذهب

يرجع بعض الباحثين الجذور التاريخية لنشأة مذهب الإباضية إلى مؤتمر السقيفة[1]، والذي دارت فيه المناقشات السياسية وفق الأساليب الحديثة في عصرنا[2]، وكانت مشكلة الخلافة أولَ مسألة أثارت النقاش بين المسلمين، وأدّى هذا إلى تفرقهم شيعا وأحزابا، خاصة وأنّه لم يرِد في القرآن نصّ صريح يبيّن كيف يتمُّ بموجبه اختيار رئيس الدولة[3]، إلا من قبيل " أمرهم شورى بينهم" وقد تُوفّي الرسول صلى الله عليه وسلّم دون أن يعيّن من يخلُفه، ممّا جعل أمر الخلافة تتجاذبه الآراء من كل ناحية[4]. فإذا تعرضنا إلى الأسباب العامة والظروف الخاصة التي ساعدت على نشأة الفرقة الإباضية، فليس ذلك إلا من قبيل التعريف بالمذهب الذي نحن بصدد

1) عمار طالبي: **آراء الخوارج الكلامية**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ج1، ص44.

2) ظافر القاسمي: **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي**، دار النفائس، ط4، 1982، ج1، ص166.

3) عوض خليفات: **نشأة الحركة الإباضية، مطبعة مجدولاي**، عمّان، 1978، ص44

4) بكير بالحاج وعلي: **الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق**، جمعية التراث، غرداية، 2001، ص49

دراسته، وعليه، فإن الحديث سيكون مركّزا على الأحداث التاريخية ذات الصلة الوثيقة بظروف النشأة، والتي تمثل الأسباب المباشرة لظهور الإباضية كفرقة إسلامية مميزة بأصولها وأتباعها، فأمّا النشأة فتعود أسبابها إلى الظروف السياسية بالدرجة الأولى، وهذا ما تولّد عنه اختلاف أمة الإسلام حول بعض القضايا في الفقه والسياسة، وكان ذلك سببا في اجتهاد العلماء من الصحابة والتابعين، ومن ثم تعددت الآراء وتباينت الأفكار، فكثر الجدل والمناظرات بين العلماء، وظهر علم الكلام عند المسلمين، ولما صار لكل عالم أتباعه وشيعته، تحزّبت الأمة الإسلامية، وصارت فِرَقا ومذاهب تدّعي كل فرقة أنّ الحق إلى جانبها وأنّ غيرها على ضلال، وأنها الوحيدة الناجية من بين الفرق التي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث الافتراق[1]، فبادر الخوارج بتسمية أنفسهم أهل الحق[2].

وفي هذه الظروف المتوترة، لم يكن الصراع الفكري وحيدا في إذكاء نار الفتنة، بل تفاقم الوضع وتحوّل الخلاف من حرب كلامية إلى صراع مسلح، وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ض) أول ضحية لهذا الصراع؛ حيث اعتبر العديد من الباحثين[3] مقتله سابقة خطيرة في تاريخ الإسلام، إذ أنّ فريقا من الأمّة اعترضوا على سياسته وثاروا ضدّه، وقد تطرّف الثوار في أسلوب معارضتهم، حتى وصل بهم الأمر إلى اغتياله، ممّا نتج عنه نشوب حرب أهلية ذهب ضحيّتها آلاف المسلمين،

1) عبد القاهر البغدادي: **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982، ط5، ص4-6

2) ابن جرير الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، مط الحسينية، القاهرة، 1336هـ، ج5، ص75

3) للمزيد حول الموضوع، انظر: محمد عوض خليفات: **نشأة الحركة الإباضية**، دار مجدولاي، عمّان، 1978، ص49

وكانت هذه الحادثة البذرة التي نشأت منها الأحزاب والفرق الإسلامية، وكان اختلافها الأول حول منصب الخلافة[1]، ومنذ ذلك الحين أصبح للسيف وزن في تقرير أمر الخلافة وقيادة الأمة الإسلامية، كما أصبح للقبائل دور كبير في اختيار الخليفة وتثبيته في منصبه، بعد أن كان هذا الدور مقصورا على أهل المدينة ممثّلين بكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار. ثم تطورت الأحداث بعد ذلك في عهد الخليفة علي (ض)، واشتد الخلاف، إذ وجد نفسه أمام أمرين مُلحَّين ينبغي معالجتهما[2]:

الأول: إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه في الأمصار، فبدأ بعزل عمّال عثمان، وعوّضهم بعمّال آخرين، في محاولة لإرضاء سكان الأمصار وإقرار نفوسهم[3].

الثاني: إنهاء قضية القصاص للخليفة عثمان بن عفّان. غير أنّ الأمور لم تسر وفق ما خطّط لها الخليفة علي (ض)، فقد تجمّع بعض أهل المدينة الذين لم يبايعوه، ولحق بهم طلحة والزبير[4]، وانضمّت إليهما عائشة، وتوجهوا من مكة صوب

1) عوض خليفات: المرجع السابق، ص50.

2) محمد قرقش: **عُمان والحركة الإباضية**، مكتبة مسقط، ط2، 1994، ص52.

3) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: **تاريخ اليعقوبي**، مطبعة النجف، 1964، ج2، ص155، المسعودي علي بن الحسن: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط4، بيروت، 1981،ج1، ص 581.

4) بايع طلحة والزبير الإمام عليّ، لكنّهما زعما فيما بعد أنّ الأمر كان بالإكراه، فخرجا إلى مكّة. انظر: ابن قتيبة أبو محمد: **الإمامة والسياسة**، مطبعة القاهرة، 1969، ج1، ص52.

البصرة، خاصة بعد أن علموا بأنّ والي الشام معاوية قد ردّ بيعة علي[1]، وكان هذا التصرّف عاملا من عوامل التهاب الأوضاع منذ بدايتها.

ونشبت الفتنة بين المسلمين، واصطدموا في صراع مسلح في معركة الجمل سنة 36هـ/ 657م، بالقرب من البصرة بين الخليفة عليّ بن أبي طالب (ض) من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة (ض) من جهة أخرى، وتمكّن عليّ من النصر فيها وإعادة عائشة إلى المدينة، وقد كانت هذه أولَ مواجهة عسكرية تدور بين الصحابة بتلك الصورة المباشرة[2].

لم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، بل اشتبك المسلمون فيما بينهم مرّة أخرى في معركة سمّيت بـ: وقعة صفين[3] سنة 37هـ/ 658م، والتي دارت بين الخليفة علي (ض) ومعاوية، تمخّض عنها فتن وانقسامات[4]، وقد ظهر تيار جديد ينادي بأنّ الخلافة ليست حكرا على قريش، ولا على أيّ بيت من بيوتاتها، مخالفا بذلك جميع التيارات السابقة، بما فيها التيار الشيعي الذي نادى بالتمسك بالخلافة في آل البيت، فظهرت على الساحة ثلاث تيارات بارزة، تيار معاوية، تيار الشيعة، تيار المحكّمة.

أما الإباضية كفرقة مستقلة بذاتها، فإنها لم تظهر جليا في تلك الظروف، ولم تكن آراؤها قد تبلورت بعد، وهذا نظرا للتغير السريع في مجريات الأحداث، فلم

---

1) طه حسين: **الفتنة الكبرى علي وبنوه**، دار المعارف، القاهرة، د.تا، ص29.

2) محمد قرقش: المرجع السابق، ص53.

3) قرية صغيرة غربي الفرات، في منتصف الطريق بين العراق والشام. للمزيد انظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ليبزغ، 1873، ج5، ص370.

4) عدون جهلان: **الفكر السياسي عند الإباضية**، جمعية التراث، د.تا، ص29

يستقر الوضع جيدا آنذاك لتنضج الأفكار، وبالتالي تمايز الفرق عن بعضها، ولذلك اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ معيّن لظهور الإباضية كفرقة مذهبية لها استقلالها الفكري، وذات أصول واضحة ومبادئ محددة ورجال معيّنين[1]، وإذا عدنا إلى المؤرخين في تحديد تاريخ ظهور الإباضية ونشأتها، فإننا نجدهم على آراء عدة؛ فالمستشرق تاديوز ليفتسكي يذكر في دائرة المعارف اعتمادا على المؤرخين المعاصرين أنّ ظهور الإباضية كان سنة 65هـ/ 684م عندما انفصل عبد الله بن إباض عن المتطرفين الخوارج[2]، بمناسبة الموقف الذي اتخذه تجاه أهل التوحيد الآخرين، لكنه يستبعد هذا التحديد ليؤكد أنّ جذور الإباضية أقدم من ذلك، فهو يُلحِق تاريخ نشأة هذه الفرقة بظهور جماعة القعدة[3].

أما الإمام عبد الوهاب[4]، فيعتبر أن وقعة صفين هي الحدث الذي نتج عنه ظهور فرقة الإباضية، إلا أنّ الإمام لم يسمّ هذه الفرقة بالإباضية، باعتبار أنّ التسمية ظهرت فيما بعد؛ إذ يقول في رسالة له إلى أهل طرابلس: " لما اشتدت الحرب، وارتاب المبطلون وحكّموا الحَكَمين، اختلفت الأمة وصار الناس شيعتين،

1) جهلان: نفس المرجع والصفحة.

2) حاول زعماء الخوارج استدراج عبد الله بن إباض للخروج معهم فامتنع، وأخبرهم أنّه لا يخرج على قوم يرتفع الأذان في صوامعهم، والقرآن من مساجدهم. انظر، علي يحي معمّر: **الإباضية**، المطبعة العربية، غرداية، 1985، ص35.

3) القعدة جماعة ظهرت في البصرة، في منتصف ق1هـ-7م، من أشهر رجالها أبو بلال مرداس بن أدية التميمي.

4) الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثاني أئمة الدولة الرستمية.

فاختلف المسلمون بالحق الذي تمسكوا به، فاختلفت عليهم كلمة المختلفين يقاتلونهم على دين الله الحنيف والملة الصادقة"[1].

ويعني الإمام بالمسلمين المختلفين بالحق جماعة المُحَكِّمة[2]، كما سُمِّيت هذه الجماعة بالخوارج[3] لخروجهم عن الإمام علي (ض)[4]، وهذه تسمية أطلقها عليهم مخالفوهم في الفكرة ومعارضوهم في الرأي، سواء من أصحاب علي (ض)، أو من أتباع معاوية، وحين نزلوا حروراء[5] سُمّوا بالحرورية[6]، وكان عددهم آنذاك حوالي اثنا اثنا عشر ألفا[7]، ثمّ أُطلِق عليهم أهل النهروان لمَّا خرجوا من الكوفة إلى النهروان[8].

النهروان[8].

1) رسالة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم إلى أهل طرابلس، ذكرها ابن سلام الإباضي في كتابه: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، تح شفارتز وسالم بن يعقوب، دار اقرأ، ط1، 1985، ص107.

2) سُمّوا بذلك لرفضهم تحكيم الخليفة علي للحكمين، ورضاه بما نتج عن ذلك. انظر: عوض خليفات: **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، ط2، المطبعة الشرقية، سلطنة عمان، د.تا، ص 23.

3) هم الذين رفضوا توقيف القتال في معركة صفّين، ولم يقبلوا التحكيم وما نتج عنه، ولم يرتضوا الانحراف عن نهج النبي والحكم الرّاشد، فهو لا يعدو أن يكون خروجا سياسيا لا دينيا.

4) الحافظ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ط3، مكتبة المعارف، بيروت، 1981، ج7، ص.ص 273.310.

5) حروراء : قرية ناحية الكوفة تبعد عنها بنصف فرسخ (حوالي 3كلم).

6) هم الذين كانوا مع الإمام علي بن أبي طالب (ض) في معركة صفّين عام 37هـ، ثمّ اعتزلوه لمّا قبِل التحكيم، اشتهروا بالحروريين نسبة إلى قرية حروراء التي نزلوها. انظر، بحاز وآخرون: **معجم المصطلحات الإباضية**، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عُمان، 2011، ج1، ص 265.

7) ابن جرير الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، دار القلم، بيروت، ص33

8) صالح الصوافي: **الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة**، مط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983، ص 212.

وفي أثناء ذلك لم يتميز الإباضية عن غيرهم في شكل فرقة مستقلة بآرائها، إلا بعد الانفصال الذي حدث بين أهل النهروان[1]، بعد الهزيمة التي حلّت بهم على يد أصحاب علي (ض)، عندها ثار البعض ممّن بقوا، فعزموا على الانتقام بالعنف، بينما فضّلت جماعة منهم الالتزام بالهدوء والروية والجنوح إلى المسالمة، خاصة وأنهم يشكلون أقلية ضعيفة، لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم فضلا عن تغيير الوضع، لذلك قررت هذه الجماعة السفر إلى البصرة[2]، فأصبحت تشكل فريقا تحول "من حزب علني معارض إلى حزب سري يتطلع إلى الوصول إلى السلطة"[3] وإلى إقامة دولة إسلامية وفق المبادئ الشورية.

أثّرت معركة النهروان تأثيرا كبيرا على حركة المُحكّمة، إذ أصاب وحدتهم بالتمزّق، كما شتّت صفوفهم، وهذا يعود إلى عوامل متعدّدة منها:

1- فقدان القيادة الموجِّهة، والإمامة الموحَّدة، بعد مقتل إمامهم عبد الله بن وهب الراسبي، حيث لم يتّفقوا على من يخلُفه، خاصة بعد مقتل خيرة رجالهم وقرّائهم في تلك المعركة.

---

1) وقعت معركة بين جيش علي (ض)، وبين المُحكِّمة، سُمّيت بالمكان الذي جرت فيه: النهروان، انتهت هذه المعركة بهزيمة المحكّمة، ولم يبق منهم إلاّ القليل. انظر: محمد صالح ناصر: **منهج الدعوة عند الإباضية**، ط5، دار ناصر، الجزائر، ص-ص 80-84.

2) قررت الجماعة المعتدلة ممن تبقى بعد وقعة النهروان الرحيل إلى البصرة تحت زعامة أبي بلال بن أدية، والذي نُصّب إماما للشراة فيما بعد.

3) عوض خليفات: **التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان**، سلطنة عمان، د.تا، ص4.

2- إنّ هذه الجماعة شاعت فيها الفُرقة، وساد بينها الاضطراب بافتقادهم إلى وحدة المنهج، فتطرّف من تطرّف، وغالى من غالى، حتى أنّ بعضهم نهج استعراض المسلمين بالسيف، واستباحة قتل الصبية والنّساء والمستضعفين.

3- اشتداد أمر الأمويين وتقوية صفوفهم، ورسوخ دولتهم، بعد أن أزاحوا الإمام عليّ (ض) من طريقهم وهزموه، فلم يبق لهم مناوئ ينافسهم على السلطة سوى الخوارج والشّيعة، وقد أحكموا قبضتهم على الخوارج بصفة خاصة، فشتّتوهم في البلاد، وأصابوا حركتهم بالضعف والوهن[1].

حاولت بعض فرق الخوارج القيام بثورات عديدة ضدّ السلطة القائمة في الكوفة والبصرة، إلا أنّ نشاطهم العسكري لم يستمرّ طويلا، فباءت حركاتهم بالفشل، لاسيما بعد تولّي زياد بن أبيه (45-53هـ) الذي اتخذ إجراءات صارمة، واستخدم طرقا إبادية فظيعة، حتى أنّه كان يهدّد القبائل العربية بالبصرة بإجلائها وقطع عطائها، إن لم تسهم في قتال الخوارج، وكان يتّبع سياسة القمع والتقتيل حتى ضدّ النساء، فإذا ظفر بامراة من الخوارج قتلها وعرّاها وصلبها، وقد وضع هذا الأسلوب الوحشي حدّا لخروج النساء اللاتي يخفن من الفضيحة والعري أمام الخلق[2].

فبينما كان الخوارج المتطرّفون من الأزارقة والنجدات يقومون باستعراض المسلمين بالسيف، قامت جماعة من أتباع الإمام عبد الله بن وهب الرّاسبي باستنكار

1) محمد ناصر: المرجع السابق، ص87.
2) نفس المرجع، ص88

مثل هذه السلوكات المضادة للدّين، ومخاصمة المتطرّفين بالمراسلات والمناظرات، محاولة منهم لإرجاعهم إلى الطريق السويّ الذي نشأت من أجله حركتُهم[1].

في ظل الظروف العصيبة –المذكورة سَلَفًا– آثرت هذه الجماعة الدخول في الكتمان[2]، وبناء على هذا الاختيار اجتهد إمامهم جابر بن زيد في نشر دعوتهم سرا، وفق مبادئ تقوم على الاعتدال، والابتعاد ما أمكن عن بؤر التوتر، وعدم الجهر بآرائهم في وجه المخالفين، فضلا عن استعراض الناس، فكانت هذه الخطة ناجحة للمحافظة على الوجود الإباضي في وسطٍ مفعم بالخلاف وكثرة الفتن، وسطٌ لا يرحم فيه أصحاب السلطة كلَّ من شذّ عن الرأي العام الذي كانت تسيطر عليه الأسرة الأموية[3].

وجملة القول أن ظهور الإباضية ونشأتها تعود جذورها إلى التجمع العام لطائفة المحكّمة في النهروان سنة 37هـ/ 658م بعد الذي وقع في معركة صفين، من تحكيم للحكمين، وقد رفعت هذه الطائفة شعارها: " لا حكم إلا لله"[4].

أما ظهور الإباضية كفرقة مستقلة بآرائها، معيّنة بأتباعها وأعلامها، فكان ذلك تدريجيا وفي مراحل استلزمت عقدا من الزمن، انتهى بإعلان عبد الله بن إباض

1) نفس المرجع والصفحة.

2) حول مفهوم الكتمان راجع: المبحث الخامس من الفصل الثاني من هذا البحث.

3) عدون جهلان، **الفكر السياسي**، ص 33.

4) علي يحي معمّر: **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، مكتبة الضامري، د.تا، ص 388.

رفضه صراحة الخروج من البصرة مع المتطرفين من الخوارج، وذلك سنة 65هـ. فكانت هذه الحادثة الإعلان الرسمي لظهور الإباضية، وتميزها عن بقية المذاهب[1].

المبحث الثاني: أصل تسمية المذهب

يحدّد الشيخ امحمد بن يوسف أطفيّش الصيغة الصحيحة لتسمية أصحاب جابر بن زيد، فيقول: " الإباضية بكسر الهمزة على أنها الأصح"[2]، إلا أننا نجد الأباضية –بفتح الهمزة– تُستَعمَل عادة في المشرق كما في المغرب، وقد استعملها البرادي في كتابه: الجواهر المنتقاة[3]، ومهما يكن فالتسمية بالإباضية حادثة، إذ أطلقها الأمويون على أصحاب عبد الله بن إباض[4] نسبة إلى أبيه إباض بن تميم اللات، لكن الإباضية لا يعتبرون عبد الله إمامهم الأول، ولا يضعونه في مرتبة الإمام جابر بن زيد من حيث العلم والتفقه في الدين، فهو " لم يكن إمام مذهب خاص أخذ به أتباعه وقلدوه فيه، ... ولم يكن هو من الشيوخ المؤسِّسين للمذهب"[5]، ومما حمل الأمويين

1) جهلان: المرجع السابق: ص 34.

2) امحمد بن يوسف أطفيش: **الرسالة الشافية، الجزائر**، د.تا، ص49.

3) أبو القاسم البرادي: **الجواهر المنتقاة لما أخلّ به كتاب الطبقات**، ط1، دار الحكمة، لندن، 2014.

4) هو عبد الله بن إباض بن تيم اللاّت بن ثعلبة، رهط الأحنف ابن قيس التيمي، وهو من طبقة التابعين، عاصر عبد الملك بن مروان (65–89هـ) مؤسس الدولة الأموية الثاني، قال عنه العالم الإباضي القلهاتي: " وهو الذي فارق جميع الفرق الضالة عن الحق، من المعتزلة والقدرية والصفاتية، والجهمية والخوارج، والروافض والشيعة، وهو أول من بيّن مذهبهم ونقض فساد اعتقادهم" كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي مراسلات. انظر: محمد حسن مهدي: **الإباضية نشأتها وعقائدها**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 2011، ص56.

5) سالم بن حمود السيابي: **إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء**، تح سيدة إسماعيل كاشف، مطبعة سجلّ العرب، ص57.

إلى نسبة المذهب إلى عبد الله بن إباض أنه "كانت كل مقاصده لله وفي الله، فكانت له بذلك شهرة أضفت عليه لباس زعامة دينية تبعه عليها أهل الحق فأضيفوا إليه وعُرِفوا به، فكان سورهم المنيع من جانب السلطان"[1]، وأكثر من ذلك كان عبد الله يمثّل همزة وصل بين جماعة الإباضية والسلطة القائمة.

كما أن من الأسباب الهامة لعدم نسبة المذهب إلى مؤسسه الحقيقي الإمام الفقيه جابر بن زيد[2] أنّ الظروف فرضت على جابر أن يعمل في الخفاء، بعيدا عن أعين المخالفين، لأنّ أيّ أمر يكشف انتماءه للإباضية وولاءه لجماعة أبي بلال مرداس[3]، سيعرّضه إلى خطر يعود عليه وعلى المذهب بالضرر، خصوصا وأنّ جابرا كان يحظى بمكانة محترمة لدى العامل الأموي الحجاج بن يوسف[4]، وهذا ما جعله يختار سياسة ترتكز على التأقلم مع الظروف والأحوال المختلفة، فقد كان يعمل لإرساء

---

1) السيابي: نفس المرجع والصفحة.

2) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العمُماني (18-93هـ)، يُعدّ المؤسس الحقيقي لمذهب الإباضية، من حيث كونه مذهبا فقهيا شرعيا، كان إماما في العلم، جامعا للأحكام، مقبلا على كتاب الله وسنّة رسوله. انظر. مصطفى الشكعة: **إسلام بلا مذاهب**، الدار المصرية اللبنانية، 1997، ص143.

3) هو أبو بلال مرداس بن حُدَيْر، وهو من قبيلة تميم، نشأ في البصرة وعاش فيها، يُعتبر من زعماء الإباضية ومن مؤسسي مذهبهم، اتصف بالتقوى والعلم والشجاعة والاعتدال، شهد مع عليّ (ض) واقعة صفّن، وحارب في صفوفه، غير أنّه وقف ضدّ التحكيم بحزم، وأنكر على الإمام قبوله له. انظر، محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص 89.

4) الحجاج بن يوسف الثقفي (40-95 هـ /660-714 م)، هو سياسي أموي، وقائد عسكري، من أشهر الشخصيات في التاريخ الإسلامي والعربي، طاغية متجبّر، عُرف بـ (المُبير)، كما أنّه كان خطيبا بليغا، لعب دوراً كبيراً في تثبيت أركان الدولة الأموية، سير الفتوح، خطط المدن، وبنى واسط .وحاصر مكة وهدم الكعبة بالمنجنيق. واختلط في المخيلة الشعبية بروايات مبالغ فيها تدل على ميراث الرعب الهائل الذي خلفه. انظر، أحمد بن يحي البلاذري: **أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكّار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996، ج4، ص302.

أسس المذهب وتوطيد أركانه سرا عن طريق عقد حلقات دروس لتكوين رجال المذهب الذين سيكلَّفون بنشر المذهب في بلاد الإسلام[1].

مما سبق، يمكن القول بأنّ تسمية المذهب بالإباضية لا تعني أنّ عبد الله بن إباض هو الزعيم الروحي للمذهب وغيره تابع له، ولا أدلّ على ذلك من إجماع المؤرخين الإباضية على أنّ عبد الله " كان يَصدُر في كل أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد"[2].

كما أنّ التسمية بالإباضية لم يخترعها أتباع هذه الفرقة، بل أطلقها عليهم مخالفوهم[3]، وظل الإباضية يقاومون هذه التسمية، لكنهم مع مرور الزمن وإصرار مخالفيهم على تسميتهم بها، قبلوا بها، خاصة وأنهم لم يجدوا فيها ما يؤذيهم أو يسيء إلى سمعتهم[4]. ويفضّل الإباضية –قديما وحديثا– تسميتهم بأهل الاستقامة[5]، أو " أهل الدعوة، أو جماعة المسلمين، أو أهل الاستقامة والحق"[6].

ومهما يكن من أمر التسمية، فإن العبرة بالمبادئ، وبمدى حرص الرجال بالالتزام بالأصول، والعمل بإخلاص وفق ما يرتضيه الخالق. فما كان الإيمان يوما بالانتساب والتمنّي.

---

1) جهلان: المرجع السابق، ص 35.

2) عوض محمد خليفات: **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، ص 9.

3) علي يحي معمر: **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة6، ص6.

4) عوض خليفات: **التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان**، مطبعة مسقط، عمان، د.تا، ص5.

5) نور الدين السالمي في هامش كتاب: **إن لم تعرف الإباضية** لـ امحمد أطفيش، ص26.

6) عوض خليفات: **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، ص5.

المبحث الثالث: أهم عقائد المذهب الإباضي

تجدر الإشارة إلى أنّ عقائد المذهب الإباضي مبنية على أصول ثابتة، مستمدة تعاليمها من القرآن الكريم وسنة الرسول (ص)[1]، لكنّ الخلاف قد يقع حول بعض الآراء في المسائل الخلافية بين المذاهب، فيكثر الجدل حولها من حيث الصحة والبطلان، ومن حيث قربُها أو بعدها عن أصول العقيدة الإسلامية[2]، ومن تمام التعريف بالمذهب الإباضي أن نستعرض بعض عقائده وآرائه في المسائل الإلهية والإنسانية، ومن بين هذه العقائد[3] نذكر:

أولا: الأصول التسعة

اجتمع علماء الإباضية[4] على أنّ المسائل التي وقع عليها اختلاف الناس تسعة، تسعة، وهي: التوحيد، والعدل، والقضاء والقدر، والولاية والبراءة، والأمر والنّهي،

---

1)- محمد صالح ناصر: **منهج الدعوة عند الإباضية**، ص 161.

2) عدون جهلان: **الفكر السياسي**، ص51.

3) للمزيد حول هذه العقائد بأكثر توضيح وتفصيل انظر: أبو عمار عبد الكافي: **الموجز** (آراء الخوارج الكلامية)، تحقيق عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، الباروني أبو الربيع: **مختصر تاريخ الإباضية**، علي يحي معمر: **الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث**، القاهرة، مكتبة وهبة، 1976 م، ابن دريسو مصطفى: **الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، المطبعة العربية، غرداية، 2003م، وهناك دراسة أكادمية لمستشرق فرنسي تناول فيها عقائد الإباضية بالتفصيل. انظر cuperly pierre: **professions foi ibadites**, cintribution à l'étude de l'ibadisme de sa théologie, thèse de doctorat, d'état, université de paris – sorbonne, 1982.

4) من هؤلاء العلماء نذكر: عامر بن علي الشماخي (ق8هـ/14م)، تبغورين بن عيسى الملوشائي(ق6هـ/12م)، عبد العزيز الثميني(ق13هـ/19م)

والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، وأن لامنزلة بين المنزلتين، والأسماء والأحكام. فتلك هي الموضوعات التي أثارت الجدل والمناظرات بين المتكلمين وكتّاب المقالات، ولمّا حدّد الإباضية موقفهم منها، واتضحت آراؤهم حولها غدت أصولا للعقيدة عندهم.

1- التوحيد: وهو إفراد المعبود بالعبادة، والتصديق بوحدانية الخالق، ذاتا وصفاتا وأفعالا، والإقرار بوجود واجد الموجودات، وهو الله الذي لا إله إلا هو، متعال عن صفات المخلوقات، فلا أوّل له ولا آخر، وهو شيء لا كالأشياء[1]، لأنّ أوّليته سابقة لكل شيء مخلوق، وآخريته باقية بعد فناء كل مخلوق، واعتبارا بهذا فلا يصح التوحيد إلا بإفراد الخالق عن المخلوق في " ذاته وأقواله وأفعاله وأحكامه وعبادته وصفاته وسائر كمالاته"[2].

ومن جملة التوحيد صفات الله تعالى، والتي تنقسم إلى أنواع ثلاثة:

- صفات واجبة لله: كالوجود والأزلية والأبدية والحياة والعلم.
- صفات مستحيلة على الله: كالحدوث والعدم والفناء والجهل والعجز، ومشابهة الأجسام المخلوقة.
- صفات جائزة لله: يوصف بها حين يفعلها، ولا يوصف بها إذا لم يفعلها، لجواز فعلها أو تركها.

1) امحمد أطفيّش: **الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص**، مطبعة السلفية، القاهرة، 1343هـ، ص7.

2) عمر بن رمضان التلاتي: **نخبة المتين من أصول تبغورين**، ضمن كتاب تحت عنوان: " كتب مختارة "، المطبعة العربية، غرداية، د.تا، ص175.

2- العدل: أجمع المسلمون على أنّ الله عدل لا يُنسَب إليه الجور ولا يوصف به، سواء في أحكامه أو أفعاله[1]، وإنّما الخلاف بين المتكلّمين يتركّز حول حرية الإنسان، وهي مرتبطة بالعدل الإلهي، هل الإنسان حرّ في تصرفاته؛ أي خالق لأفعاله؟ أم أنّ الخلق لله ولا طاقة للعبد في اختيار ما يريده؟ فالإباضية يرون بأنّ الأفعال خلق لله تعالى، وهي في ذات الوقت كسب للإنسان، وبهذا تتأكّد حرّية العبد وقدرتُه على الاختيار من دون أن يتعارض ذلك مع مشيئة الله وإرادته في الخلق الذي يتفرّد به دون غيره[2].

3- القضاء والقدر: كل شيء بقضاء الله وقَدَرِه، فالقضاء هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه، لأنّ قضاءه سابق للأشياء، والقَدَر هو علم الله بمقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، وهذا لا يتعارض مع إرادة العبد في اختيار أعماله، فأفعال العبد مكتسبة له مخلوقة لله، وحيث أنّ الله خالق لكلّ شيء وعالم بكلّ شيء ومريد كلّ شيء، فإنّ القَدَر خَيْرُه وشرّه من الله[3].

4- الولاية والبراءة: الولاية هي القرب والمحبّة والولاء والرضى، وهي واجبة على المسلمين. والبراءة هي إظهار المؤمنين البغض وعدم الرضى للكافر لكفره، استنادا لمقولة الخليفة عمر (ض): "من رأينا فيه شرّا تبرأنا منه"[4]. ويمكن القول أنّ الولاية والبراءة من الأصول التي درسها الإباضية بعمق، بمؤلفات مستفيضة من

1) أبو زكريا يحي الجناوني: **كتاب الوضع**، ط1، مطبعة الفجالة، القاهرة، د.تا، ص 22.
2) عدون جهلان: المرجع السابق، ص-ص 54-55.
3) نفس المرجع، ص56.
4) امحمد أطفيّش: **الذهب الخالص**، ط2، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص32.

فقهائهم وعلمائهم[1]، كما أنّ اهتمامهم بهذا الجانب لم ينحصر في نطاق الاجتهاد الفقهي فحسب، وإنّما تعدّاه إلى الميدان العملي والتطبيقي، فتجسّدت هذه الآراء والأحكام في واقع الحياة اليومية داخل المجتمعات الإباضية[2].

5- الأمر والنهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كلّ مسلم في كل زمان ومكان على قدر الاستطاعة، ويُعدّ هذا المبدأ من الأصول الاجتماعية والأخلاقية التي حظيت بعناية خاصة لدى الإباضية، وحرصوا على تطبيقها في حياتهم الاجتماعية. كما يبني الإباضية حكمهم على وجوب الإمامة استنادا إلى هذا المبدإ، فلا يمكن أن تستقيم أمور المسلمين إلا بتعيين سلطان يتولى أمرهم وينفّذ أحكام الله بالعدل بين النّاس[3].

6- الوعد والوعيد: وهي من اختصاص الله، واتفق المسلمون على أنّ الله صادق في وعده ووعيده، إلا المُرجِئة زعمت أنّ الله لا يُخلف وعده وقد يُخلف وعيده[4]، إكراما منه ورحمة وإشفاقا على عباده[5].

ووعْدُ الله هو تبشيره تعالى عباده الصالحين بالثواب في الآخرة، كما في قوله تعالى: ((إنّ الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نُزُلا))[6]، أمّا

1) محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص-ص 215، 223.
2) نفسه.
3) للمزيد حول هذا المبدأ، انظر محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص،ص 223، 232.
4) الجناوني: **الوضع**: ص 23.
5) جهلان: **الفكر السياسي**، ص 61.
6) سورة الكهف، الآية 107.

الوعيد فهو إخبار الله تعالى أعداءه من كفار ومشركين بالشرّ والعقاب في الآخرة، كقوله تعالى: ((إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنّم خالدين فيها أولئك هم شرّ البريئة))[1]، فمصير أهل الوعد الخلود في الجنّة، ومصير أهل الوعيد الخلود في النّار[2].

7- المنزلة بين المنزلتين: قد لا يكون العبد مؤمنا، كما لا يكون مشركا في ذات الوقت، فهو في منزلة بين قطبين متناقضين الإيمان والشرك، وهذه المنزلة هي النّفاق[3]، فهذه المنازل الثلاث يستحيل الجمع بينها، (لأنّ المتّصف بواحدة منها لا يوصف بالأخرى)[4]، وقد فرّق الله بينها في قوله تعالى: ((ليعذّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات))[5].

8- لا منزلة بين المنزلتين: الإيمان والكفر[6] ضدّان لا يجتمعان، فلا يُعقل أن يكون العبد مؤمنا وكافرا في وقت واحد، فهو إما مؤمن أو كافر، ولا منزلة بين الكفر والإيمان، كما أنّه لا توجد منزلة بين التوحيد والشرك، لقوله تعالى: ((هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن))[7].

---

1) سورة البيّنة، الأية 6.

2) أبو زكريا الجناوني: المرجع السابق، ص23.

3) النّفاق هو الاعتقاد والإقرار ثمّ الخيانة في العمل.

4) عبد العزيز الثميني: **معالم الدين في الفلسفة وأصول الدّين**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1986، ج2، ص118.

5) سورة الأحزاب، الآية 73.

6) الكفر هنا كفر نعمة لا كفر جحود وشرك، وهذا مصطلح اختصت به الإباضية دون سواها.

7) سورة التغابن، الآية2.

9- الأسماء والأحكام: يُقصد بالأسماء الألفاظ والصفات التي تُطلَق على العبد، وقد تدلّ على المعاني الحسنة، كالمؤمن والتقيّ والصالح، وقد تدلّ على المعاني القبيحة كالكافر والفاسق والمشرك. أمّا الأحكام فهي " الأمور المحكوم بها على العباد كالولاية والبراءة والسبي والقتل، والجزية... "[1]، وسائر أحكام الله الحسنة منها كالثواب بالنعيم في الجنة، والقبيحة كالجزاء بالعقاب والخلود في النّار. وأكثر اختلاف الفِرق إنّما جاء من قبيل الأسماء وتحديد ما نسمّيه بالمصطلحات، فنجد عدة معاني وتأويلات للاسم الواحد، وهذا الاختلاف في تحديد معنى الاسم ينتُج عنه اختلاف حول الحكم الذي ينطبق عليه، لذلك وضع الإباضية قاعدة أساسية "الأسماء تابعة للأحكام"[2].

ثانيا: بعض المسائل الخلافية:

1- الإيمان عقيدة وقول وعمل: تُعدّ هذه المسألة العقدية مسألة خلافية بين الفرق الإسلامية، دار حولها جدل كبير منذ ظهور الجدل الكلامي إلى يوم النّاس هذا، والإباضية يولون هذه المسألة اهتماما بالغا، ولسنا مبالغين إن قلنا أنّ مدار مسائل العقيدة عندهم تدور في غالبيتها حول هذه المسألة، لأنّها تتعلّق بماهية المسلم، وبأحقّيته بهذه التسمية من عدمها، كما أنّها تتعلّق بالجزء الأخروي، وموقف الإباضية واضح وصريح بأنّ الإسلام لا يتمُّ إلاّ بالاعتقاد والإقرار والعمل، أي أنّ الإيمان لا تكفي فيه النيّة ما لم يصدّقه العمل، مستندين في ذلك على ما يرِدُ في

1) عمر التلاتي: **شرح متن الديانات لعامر الشماخي**، ضمن كتب مختار، ص53.
2) جهلان: الفكر السياسي، ص 65.

كتاب الله من آيات عديدة تقرن الإيمان بالعمل الصالح[1]: ((إنّ الذين ءامنوا وعملوا الصالحات..))[2]، وبهذا فالإيمان قول وتصديق وعمل، وليس قولا وتصديقا فقط دون عمل.

2- رؤية الله تعالى: وهي الإبصار بالعين المجرّدة لا تتحقق للإنسان أبدا، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

3- الخلود في الجنة والنار أبدي، لا يشقى من سعد في الآخرة أبدا، ولا يسعد من شقي في الآخرة أبدا، لأنّ ذلك متعلّق بالعدل الإلهي، وبالوعد والوعيد وما ينتج عنه من ثواب وعقاب، فالجزاء عند الله نوعان لا ثالث لهما. قال تعالى: ((فريق في الجنّة وفريق في السّعير))[3].

4- خَلْق القرآن: يدين الإباضية بخلق القرآن، والذي هو كلام الله ووَحْيُه، وتنزيله وكتابه، استقرّ في قلب محمّد صلى الله عليه وسلّم عن طريق الوحي بواسطة جبريل عليه السلام، وأدلّة الإباضية على خلق القرآن عديدة منها:

- كل صفات القرآن دالة على الحدوث، وكل حادث مخلوق.
- الله وحده يوصف بالقدم، فلو كان القرآن قديما لما كان الله متفرّدا بالقِدَم.
- الكتب السماوية المنزّلة ليست قديمة، والقرآن واحد منها، فهو ليس بقديم.

1) محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص191.
2) سورة فصّلت، الآية 8.
3) سورة الشورى، الآية 7.

5- الإمامة فرض ولا تنحصر في عنصر خاص، وإنّما شرطها هو الكفاءة الشرعية.

6- الإمامة أربعة أنواع[1]، وتعرف عند الإباضية بمسالك الدين وهي: إمامة الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان.

المبحث الرابع: أتباع المذهب في المشرق والمغرب

عرف هذا المذهب انتشارا واسعا في مختلف أصقاع العالم الإسلامي، مشرقه ومغربه، وسنتطرّق في هذا المبحث إلى أهم أماكن انتشاره، وأبرز مناطق تواجد أتباعه.

1- في المشرق:

إذا اعتبرنا تاريخ نشأة الإباضية بظهور عبد الله بن إباض على الساحة السياسية في البصرة، وبالتحديد في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ) فإننا نستطيع رصد الحركة الإباضية في المشرق انطلاقا من البصرة على يد الإمام جابر بن زيد، حيث كانت الفترة الأولى من زعامته ذات أثر فعال

1) سنعود إليها بأكثر تفصيل وتوضيح في الفصل الثاني من هذا البحث، وعن هذه الأنواع من الإمامة وشروحها بشكل أوفى وأوسع، انظر: إبراهيم بكير بحاز: **الدولة الرستمية**، جمعية التراث، الجزائر، ط2، 1993م، ص، ص79- 80، عوض خليفات: **النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان**، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، 1988م، ص- ص 109، 113؛ محمد صالح: المرجع السابق، ص، ص218- 222، جمعية التراث: **معجم مصطلحات الإباضية**، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2007، ص- ص488، 489.

لصالح الإباضية، لدخوله في علاقات سِلمية مع الحجاج[1]، واستطاع أثناء ذلك أن ينشط في نشر الدعوة سرا، وفي مأمن من بطش السلطة، حيث انطلق في ذلك أولا من قبيلته (أزد) العمانية، فوجّه إليها كل عنايته، وبحكم وزنه ومكانته في القبيلة، فإنه لم يلق صعوبات في إقناعهم، فانضمّ إليه عدد كبير كان لهم الفضل في نقل تعاليم المذهب إلى أماكن عديدة من الجزيرة العربية.

فمكانة الإمام جابر العلمية، ودرايته الواسعة بعلوم القرآن والحديث كفلت له سُبُل النجاح في دعوته، وقد تتلمذ عليه مشائخ كثيرون، ولعلّ من أبرزهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة[2]، والذي انتهت إليه رئاسة المذهب بعد وفاة جابر[3] الذي وطّد أركان الدعوة الإباضية حتى أصبحت حركة سياسية شاملة، اجتذبت إليها عناصر من قبائل وأجناس متعددة[4].

استطاع أبو عبيدة أن يشكّل حكومة سرية تكوّنت من خيرة المشائخ ورجال العلم، منهم: جعفر السماك، وصُحار العبدي، وضمّام بن السائب وأبو نوح. ومن

1) الشماخي أحمد بن سعيد: **كتاب السير**، تح أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، 1992، ص،ص 71،74.

2) هو أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة، مولى بني تميم، ولد بالبصرة وعاش بها، أخذ العلم عن شيوخ أجلّاء، كصحار العبدي، وجابر بن زيد، وجعفر بن السمّاك، وضُمام بن السائب، اشتهر بالتقوى والورع والزهد، خلّف تلامذة حملوا الدعوة من بعده، ونشروها في مشرق العالم الإسلامي ومغربه. تُوفّي حوالي 145هـ/ 762م. انظر، محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص 127 وما بعدها.

3) اختلفت الروايات حول تاريخ وفاة الإمام جابر، وأرجح الأقوال أنه توفي سنة 93هـ

4) عوض خليفات: **التنظيمات السياسية**، ص5

أجل ضمان استمرارية الدعوة الإباضية في مأمن من الفتن، وضع أبو عبيدة تنظيما خاصا للمجالس السرية، تختلف باختلاف مهامّها وبرامج عملها، وترتيب طبقاتها.

ويمكن أن نصنف هذه المجالس إلى ثلاثة أنواع:[1]

أ- **المجالس العامة:** تضمّ كلَّ شخص ينتمي إلى أهل الدعوة الإباضية، تُعقد هذه المجالس عادة في بيت أحد المشائخ أو بيوت العجائز، حيث يطمئن المجتمعون، ويبتعدون ما أمكن عن مواطن الريبة، وعن أعين السلطة. مهمّة هذه المجالس هي نشر الدعوة عن طريق المواعظ والدروس التي يلقيها المشائخ حول عقيدة المذهب وتعاليمه، وقد يكلَّف المجتمعون بأوامر يجب تنفيذها.

ب- مجالس الأعيان: وهي خاصة بعلماء الدعوة وزعمائها، يجتمعون في سرية تامة، ويبحثون في شؤون الدعوة وقضايا السياسة ودراسة الأوضاع، ثم يقرّرون خطة العمل التي يجب الالتزام بها، وتُعتبَر هذه المجالس بمثابة الهيئة العليا لحركة سرية تدْرُس وتخطّط وتنظّم وتُقرّر، ثم تُشرف على تنفيذ التوصيات.

ج- مجالس العلم: وهي حلقات للدراسة، يحضُرها طلبة العلم الذين يفِدُون إلى البصرة من جهات مختلفة، ومن جنسيات متعددة، يتلقون العلم وأصول العقيدة، ويتدربون على منهجية الدعوة، وكلُّ ذلك عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

1) للمزيد حول هذه المجالس، انظر: عوض خليفات: **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، ص، ص 36، 41.

وكانت تُعقد هذه الحلقات في سرداب بناحية البصرة[1]، لا يعرفه إلا رُوّاده من المشائخ والعلماء والدعاة الإباضيين المعروفين بحملة العلم، واستطاع أبو عبيدة أن يجعل من البصرة مركزا لنشر الدعوة الإباضية؛ فمنها تخرَّج حملة العلم وتوزعوا في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية، تربطهم بالمركز علاقات قوية، فإذا استجدّ أمر واستعصى النظر فيه عادوا بالقضية إلى مشائخ البصرة.

ولمّا توطدت دعائم الحركة واتسعت ميادين نشاطها، اقتضى الحال أن يتخذ الإمام أبو عبيدة مستشارا له، فعيّن حاجب الطائي مساعدا له، " فكان مسؤولا عن الشؤون العسكرية والمالية، وعن الدعوة خارج البصرة "[2].

وبفضل السياسة الرشيدة المبنية على مبدإ اللين والتسامح، إضافة إلى الحرص على العمل في سرية وبجدّ لإرساء دعائم الدعوة، تَمكّن أبو عبيدة أن يَكْسِب وُدّ السلطة، وأن يحظى بثقة طيّبة لدى الحكام الأمويين، إلا أنّ العلاقة بين السلطة الحاكمة وجماعة الإباضية لم تكن دائما في حالة جيدة، فكثيرا ما شابها الحذر والتخوّف من الجانبين، وخاصة عند تعيين عامل جديد على البصرة، أو استلام خليفة جديد مقاليد السلطة المركزية، حينها يسعى الإباضية إلى إرسال الوفود إليهم قصد إيجاد سبل التفاهم والتقارب، وهذا ما حدث بالفعل في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ)، فقد أرسل إليه أبو عبيدة عند تقلُّدِه الحكم وفدا بقيادة

1) انظر، أبو زكريا يحي بن أبي بكر: **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص55.

2) عوض خليفات: **الأصول التاريخية**، ص41.

جعفر بن السمّاك، وسالم الهلالي، وأرسل هذا الوفدَ مرة أخرى إلى عمر بن عبد العزيز عندما توفّي ولده عبد الملك بن عمر[1].

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (101-105هـ) ظهرت فرقة متطرفة في الأوساط الإباضية، تنادي بالثورة على الأمويين، فتصدى لها الجيش الأموي وقضى عليها في معركة العقر سنة 102هـ[2]، وقُتل فيها يزيد بن المهلّب –زعيم الثورة–[3].

كانت هذه الحادثة بمثابة نقطة تحوّل حاسمة في سياسة الحركة الإباضية، فقد تأثّر المهالبة وقادة الأزد بما يقع، وبدؤوا يخطّطون للانتقام وتغيير الوضع، وجعل حدّ للحكم الأموي، ولسياسة القمع التي ينتهجها ولاة البصرة[4].

وأمام هذه الأوضاع، كان الإمام أبو عبيدة يجتهد في تهدئة الثوار، ويدعو إلى التريث والتزام الهدوء، بل " كان معارضا لأي تصرف مباشر "[5]، لكنه وجد نفسه ملزَما بإعادة النظر في سياسة الحركة، وشرع في التفكير العميق لإيجاد مَخرَج مناسب يتماشى والتعاليم الأساسية للإباضية، وبعد استشارة المشايخ وزعماء المذهب، اضطرّ إلى تغيير موقفه خوفا من وقوع انقسام في صفوف الإباضية، خاصة وأنّ الأغلبية كانوا يطالبون بضرورة الانتقال من مرحلة الكتمان إلى مرحلة

1) عدون جهلان: **الفكر السياسي عند الإباضية**، ص40.

2) وقعت هذه المعركة بين يزيد المهلّب بن أبي صفرة، وبين مسلمة بن عبد الملك بن مروان سنة 102هـ/720م، قُتل فيها يزيد بن المهلّب، وكُسر جيشه وانهزم آل المهلّب. سالم سليمان العيس: **المعجم المختصر للوقائع**، ط1، دار النمير، دمشق، 1998، ص48

3) عوض خليفات: **الأصول التاريخية**، ص43-44.

4) عدون جهلان: نفس المرجع والصفحة.

5) نفس المرجع والصفحة.

الظهور[1]، إلا أنّ ذلك لم يكن بالأمر الهيّن، لأنّ المسألة تتطلّب الكثير من التعقّل والاستعداد الجيّد، فالإمام أبو عبيدة يدرك أنّ القضية مرتبطة بمصير الإباضية، معتبرا في ذلك بما آلت إليه الحركات الخارجية المتطرّفة من تشريد وإبادة، فتبنّى وجهة نظر معقولة تضمن له إقامة دولة إباضية حالةَ الظهور وبأقل التكاليف الممكنة، وبأدنى الخسائر. وكانت نظرته للأمر تتلخص في:

- لا يمكن إقامة إمامة مستقلة في ضواحي البصرة، لأنّ ذلك سيؤدي إلى صدام مع السلطة الحاكمة، بينما إمكانات الإباضية غير كافية لردّ العدوان والدفاع عن النفس.
- من الأفضل البدء بإقامة حكومة سرّية داخل البصرة تتولى تنظيم الحركة الإباضية داخل وخارج العراق، ومن مهامها الأساسية تكوين الدعاة تكوينا دينيا واجتماعيا وسياسيا، ثمّ تكليفهم بإقامة دول إباضية في جهات مختلفة من العالم الإسلامي، تمهيدا للتمكين لإمامة شاملة تقوم على أنقاض الدولة الأموية.

بفضل هذه السياسة، خرجت الحركة الإباضية من البصرة لتنتشر في أرجاء العالم الإسلامي، فوصلت إلى الكوفة والموصل وبقية أنحاء العراق، ودخلت مكة والمدينة ووسط الحجاز، ثمّ اتجهت نحو الجنوب لتستقرّ في اليمن وحضرموت.

وفي عمان وجدت الدعوة الإباضية تربة صالحة لتنمو وتزدهر، الأمر الذي أتاح لعمان أن يلعب دورا هاما في تاريخ الإباضية، إذ قيل: " بدأ العلم بالمدينة، وفرّخ

1) الشماخي: **السير**، ص83.

بالبصرة، وطار إلى عُمان "[1]، وهذا ما أكده التاريخ، حيث أصبحت الديار العمانية المركز الروحي للإشعاع الإباضي، خاصة بعد انتقال مشائخ البصرة إليها، كما يعود الفضل إلى عمان في انتقال الإباضية نحو الهند والصين، كما انتشرت إلى خراسان بالفرس عن طريق حملات العلم التي وجّهها أبو عبيدة إلى تلك المناطق.

وعلى غرار انتشار الإباضية جنوبا وشرقا، فقد واصلت سيرها نحو المغرب عن طريق مصر التي أصبحت هي الأخرى مركزا مهمّا للدعوة الإباضية.

2- في المغرب:

أ- أسباب قدوم الإباضية إلى بلاد المغرب:

ممّا هو مؤكّد، أنّ السلطة الأموية لم تستطع أن تقضي على المذهب الإباضي في المشرق قضاء كليا، رغم استخدامها لكل وسائل التقتيل والإبادة الجماعية ضدّ معتنقيه[2]. فهذا عبيد الله بن زياد لمّا تولى الخلافة مكان أبيه سنة 55هـ/ 674م استعمل الشدة والقسوة دون شفقة أو رحمة ضدّ كل المعارضين لحُكمه، وعلى رأسهم المحكّمة، حيث امتلأت السجون، وكثر فيها التعذيب والقتل ووصل به الحد إلى امتهان كرامة النساء بشكل يندى له الجبين هوْلا وفظاعة[3]، ويرجع ظهور الإباضية وقدومهم إلى بلاد المغرب إلى عاملين أساسيين[4]:

1) نور الدين السالمي: **اللُّمعة المرضيّة من أشعة الإباضية**، ط1، ذاكرة عمان، مسقط، 2014، ص183.
2) محمد صالح ناصر: **منهج الدعوة عند الإباضية**، جمعية التراث، الجزائر، ط 2، 1999، ص 149.
3) محمد ناصر: المرجع السابق، ص 89.
4) محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج**، ص 24

• التطور السياسي الذي حصل للخوارج عموما وللإباضية خصوصا في المشرق الإسلامي في أواخر القرن الأول الهجري، بعد فشل ثوراتهم واضطرارهم إلى اتباع أسلوب الدعوة والتنظيم السياسي، واختيار أطراف العالم الإسلامي ميدانا لنشاطهم، وهذا بعد أن تعرّضوا للمطاردة والاضطهاد، وقد كان بلاد المغرب من جملة وجهاتهم.

• ملاءمة الأحوال السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني لتقبّل هذا المذهب وانتشاره، وهذا بحكم مسايرة مبادئ الإباضية لطباع البربر الفطرية، وتماشيها مع أهدافهم السياسية، لأنّ استجابة البربر لمبادئ الخوارج كان من واقع الإحساس بالمسؤولية التي قرّرها الإسلام من حيث حقٌّ الأمة في الرقابة على السلطة الحاكمة، ثمّ رغبتهم في المشاركة في الحكم، وهو حقٌّ في نظرهم اكتسبوه بالإسلام[1]، وقد حرمتهم السلطة الأموية منه.

إذن من منطلق هذين العاملين سالفي الذكر، جعل أتباع المذهب الإباضي يبحثون لهم عن أرض آمنة تكفل لهم إقامة شعائرهم وتحفظ لهم كيانهم وبقاءهم، فوجدوا في بلاد المغرب الوجهة المثلى لذلك، خصوصا بعدما لمَسوا في مسلمي هذه البقاع تقبلا لأفكارهم ومبادئهم التي انسجمت مع طبيعتهم، وتطابقت مع ما كانوا يقاسونه من جور ولاة الخلافة الأموية واستبدادها؛ فكان ذلك إيذانا ببداية انتشار الفكر الخارجي عموما والإباضي خصوصا في هذه الرّبوع.

1) عبد الرحمان حسب الله: **جماعات الخوارج في بلاد المغرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 1987م. ص97.

ب- سلمة بن سعيد وحملة العلم ودورهم في نشر المذهب الإباضي ببلاد المغرب:

كما أسلفنا القول، فإنّ فشل الإباضية في تحقيق أهدافهم في المشرق الإسلامي دفعهم إلى توجيه أنظارهم إلى الأمصار الإسلامية النائية عن حاضرة الخلافة الأموية في دمشق، فكانت بلاد المغرب إحدى هذه المناطق التي جلبت انتباه أئمّة المذهب الإباضي في البصرة وحظيت باهتمام كبير[1]، وقد جاءت فكرة الاهتمام بنشر الدعوة الإباضية في الآفاق والترويج لها في المشرق والمغرب عن طريق الإمام أبي عبيدة الذي وهب حياته لخدمة هذه الفكرة، وسعى لها بكل تأنّ ورويّة حتى أتت أكلها بعد حين[2]، فبعد أن تأكّد أبو عبيدة أنّ قيام الدولة العادلة أمر صعب التحقيق تحت رقابة الأمويّين الصارمة، بدأ في إرسال دُعاتة إلى المناطق النائية، فوقع اختياره على سلمة بن سعد للتوجه إلى المغرب في أوائل القرن2هـ[3].

1) مسعود مزهودي: **جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2010، ص67.

2) مصطفى بن دريسو: **الفكر العقدي عند الإباضية**، جمعية التراث، الجزائر، 2003، ص 69.

3) أبو العبّاس أحمد بن سعيد الدرجيني: **طبقات المشائخ بالمغرب**، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، د. تا، ج 1، ص11.

وتُؤكد المصادر الإباضية بأنّ أوّل من قدِم من الدّعاة إلى المغرب هو سلمة بن سعد[1]، جاء مع الداعي الصفري عكرمة مولى ابن عباس[2]، حيث حفظ لنا الدرجيني في طبقاته نصّا جاء على لسان عبد الرحمان بن رستم حيث قال: " أوّل من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان أفريقية سلمة بن سعيد ... قدم علينا من أرض البصرة، ومعه عكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية "[3]، وتشير المصادر الإباضية إلى الحماس الشديد عند سلمة في نشر المذهب حتى أنّه " كان يتمنّى ظهوره يوما واحدا ويموت في آخره "[4].

ويبدو أن مجيء هذين الرجلين إلى المغرب كان بدافع نشر الدعوة، ولا يكون ذلك إلا ضِمْن خُطّة مدروسة وضعها الإمام أبو عبيدة، فقد كان يرسل " بعض الدعاة لاستطلاع أحوال الناس في المغرب ومعرفة اتجاهاتهم، ودراسة عاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم، ومقدار تطوّرهم الفكري والحضاري، ودرجة ولائهم للسلطة الحاكمة "[5]، ليسهل على الإمام اختيار الأشخاص القادرين على تحمّل أعباء الدعوة

1) هو سلمة بن سعد الحضرمي اليمني (حي: 135هـ/ 752م)، عالم عامل وداعية، صنّفه الدرجيني في طبقة تابعي التابعين، هو أوّل من جاء من البصرة بمذهب الإباضية ليدعو إليه في بلاد المغرب الإسلامي في بداية القرن الثاني الهجري، مرسولا من الإمام أبي عبيدة، وقد نجحت جهوده في الدعوة الإباضية، وكان يقول مع نفسه: " وددت أن لو ظهر هذا الامر من أوّل النهار إلى آخره، فلا أبالي إن مِتّ بعد ذلك". انظر: بحاز وآخرون: **معجم أعلام**، ج2، ص189.

2) محمد بن عميرة: **دور زناته**، ص 93.

3) الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 11.

4) أبو زكرياء: **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تحقيق: عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص42، محمود إسماعيل: **الخوارج**، ص54.

5) عوض خليفات: **التنظيمات**، ص7

وسياسة الرعيّة، وتنفيذ أحكام الله بالعدل، وتحقيق المساواة بين الناس دون اعتبار للنسب أو الجنس أو اللون، فتحقّق الهدف ونجح سلمة بن سعد في مهمّته بإيجاد أرض بِكْرٍ وشعب مطواع، فنالت دعوته إقبالا واسعا[1].

استطاع سلمة أن يمكّن لمذهبه الانتشار في منطقة طرابلس، فكان يتنقل في الجبال مبتعدا عن مقرّ الولاة، فنزل نفوسة ودمر ونفزاوة وما جاورها من المرتفعات، وهي المناطق التي أصبحت فيما بعد تضمّ تجمّعا إباضيا كبيرا[2]، حيث تأكّد سلمة بن سعد بأنّ ما كان يحلم به أستاذه أبو عبيدة ممكنٌ تحقيقه بالمغرب، ونتيجة لجهود سلمة فقد ارتحل بعض من اعتنق المذهب من أهل نفوسة إلى البصرة ليأخذوا أصول الدعوة وتعاليمها عن إمامها بعد جابر بن زيد أبي عبيدة مسلم، ومن بين هؤلاء الذين تذكرهم المصادر الإباضية أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجنّاوي[3] الذي كانت له جهود كبيرة في إقناع كثير من بني قومه من نفوسة لاعتناق المذهب الإباضي[4].

وقد رأى دعاة الإباضية الأوائل وعلى رأسهم سلمة بن سعد أنّ الحاجة إلى مزيد من البعثات العلمية للمشرق، ليتفقّهوا في أصول المذهب على أيدي مشائخ الإباضية في البصرة، وحاولوا انتقاء رجال البعثات من بين القبائل البربرية المختلفة حتى

1) عدون جهلان: المرجع السابق، ص53.

2) مسعود مزهودي: **جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلي غاية سقوط الدولة الرستمية**، مجلة المعارف، ع 1، ماي 1993، ص 79.

3) محمد ناصر: **منهج**، ص 150.

4) نفس المرجع والصفحة.

يسهل عليهم إقناع قبائلهم – بعد رجوعهم – لتقبّل الآراء والأفكار التي يبشّرون بها[1]، وبناء على ذلك فقد اتجهت إلى البصرة أوّل بعثة علمية منظّمة اختير رجالها من قبائل ومناطق مختلفة، وتألّفت من أربعة أشخاص وهم: أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوب غرب طرابلس، وعبد الرّحمان بن رستم من القيروان، وعاصم السدراتي من سدراته غربي أوراس، وأبو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوبيّ إفريقية (تونس)، وانضمّ إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وهو من اليمن، وقد سُمّي هؤلاء في المصادر الإباضية حملة العلم إلى المغرب[2].

ولا نعرف تاريخ توجّه هؤلاء الحملة بالتحديد إلى البصرة، إلاّ أنّ المصادر تذكر تاريخ رجوعهم وهو عام 140هـ/ 757م، وتذكر أيضا أنّهم قضوا في البصرة خمس سنوات، ممّا يجعلنا نرجّح سنة 135هـ/ 752م، سنة توجههم إلى المشرق[3].

عكفت هذه الجماعة مدة امتدت خمس سنوات، درست خلالها المذهب الإباضي، كما درَس أفرادها أحوال المغرب السياسية، وأنسب الأوضاع لإقامة دولة إباضية[4]، وقد كانت الدروس التي كانواْ يتلقّونها في حلقة أبي عبيدة متنوعة، فشملت مختلف العلوم[5]، ويرى الدكتور محمود إسماعيل أنّها كانت في الأصول والفروع

1) عوض خليفات: **نشأة الحركة الإباضية**، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، 1978، ص 96.

2) عوض خليفات: المرجع السابق، ص 96.

3) محمد صالح ناصر، **منهج**، ص 151.

4) محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987، ص 82.

5) مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 77.

والسيرة، والتوحيد والشريعة وعلوم اللغة والفلك والرياضيات، فإلى جانب تكوينهم الديني، كانواْ يتكوّنون سياسيا لتولّي المسؤولية وتقلّد المناصب، وبما أنّهم سيصبحون في المستقبل دعاة المذهب فقد علّمهم تعليما جيدا لتأدية الرسالة على أحسن وجه، وضمّ أكبر عدد ممكن من المسلمين إلى صفوفهم[1].

بعد خمسة أعوام، انتهت فترة التكوين عند الإمام أبي عبيدة، فعزمواْ على السفر إلى بلادهم واستشاروا إمامهم في شأنهم فقالوا له: " يا شيخنا، إن كانت لنا في المغرب قوة، ووجدنا من أنفسنا طاقة، أفَنُولي على أنفسنا رجلا منا، أو ما ترى؟ فقال لهم أبو عبيدة: "توجهوا إلى بلادكم، فإن يكن في أهل دعوتكم، ما يجب به عليكم التولية في العدد والعدة من الرجال، فولّوا على أنفسكم رجلا منكم، فإن أبى فاقتلوه ...فأشار إلى أبي الخطاب "[2].

عندما وصل حملة العلم إلى طرابلس واستقرّواْ بها، أسهموا بدورهم في تنشيط الدعوة، وأصبحوا علماء للمذهب، وبفضل جهودهم الكبيرة، استطاع الدعاة نشر مذهبهم في بلاد المغرب، في مدة زمنية قصيرة، فلم يمض على قدومهم عشرون سنة حتى أصبحت الإباضية أكثر المذاهب انتشارا بين قبائل البربر[3] في المغرب الأدنى.

1) محمود إسماعيل: **الخوارج**، ص 43.
2) الدرجيني: **طبقات**، ج1، ص20.
3) مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 78.

ويذكر الأستاذ بحّاز أنّ الإباضية انتشرت بين قبائل هوارة، لواتة، مكناسة، مطماطة، لماية، نفزاوة، مغيلة، مغراوة، بني يفرن، وزواغة[1]. ويذكر الدرجيني أنّه لما قدِم حملة العلم من المشرق إلى طرابلس " اهتم بأمور الناس ومصالح المسلمين من له فيهم نظر من المشائخ والأعيان وأفاضل الناس "[2]، فبمجرد أن حطّ حملة العلم رحالهم حتى صار يُشار إليهم بالبنان، فاطمأنّ المسلمون إلى وجود زعماء أكفاء يتحملون أعباء الإمامة[3]، ومستعدون لحمل لوائها.

ج- إمامة أبي الخطاب بطرابلس: (140 -144هـ) (757 -761م)

في عام 140هـ/ 757م، وهو العام الذي رجع فيه حملة العلم من المشرق، استقرّواْ بمدينة طرابلس[4]، وعملا بنصيحة شيخهم في البصرة تشاوروا سرّاً حول عقد الإمامة، فلقيت هذه الفكرة حماسا منهم، ثمّ اتفقواْ على عرضها على عبد الرحمان بن رستم، فاعتذر منهم وقال لهم: " إنّ بيدي أمانة الناس وبضاعتهم " فتركوه وقبلوا عذره[5].

وبعد جلسات سرية في موضع (صياد)[6] غرب مدينة طرابلس، اجتمعت كلمتهم على مبايعة أبي الخطاب، فطلبواْ منه ذات يوم أن يأتي معهم، وهم قد خطّطوا

1) إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية**، ص 63.
2) الدرجيني: **طبقات**، ج 1، ص 22.
3) أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 60.
4) مسعود مزهودي: **جبل نفوسة**، ص 87.
5) أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 60.
6) صياد: مكان يقع غرب مدينة طرابلس. انظر: أبو زكريا: **السيرة**، ص 50، الشماخي: **سير**، ص 124.

تخطيطا مُحكما لمراسيم البيعة[1]، وكان أبو الخطاب يجهل أنّ أصحابه يريدون مبايعته، فتمّ الاجتماع في الموضع المتفق عليه وعرضوا عليه الإمامة، وتذكر المصادر أنّه امتنع لكنّهم ذكّروه بوصية شيخهم أبي عبيدة، فوافق على الدخول في الولاية وقبولها[2].

ويرى الدكتور خليفات أنّ الرواية القائلة بأنّ زعماء الإباضية عرضواْ الإمامة على عبد الرحمان بن رستم أوّلا، مشكوك في صحّتها، لأنّ الإمام كان قد عُيّن من جانب أبي عبيدة، ومن غير المعقول أن يتجاوز الإباضية وصيّته ويضربون بأوامره عرض الحائط[3]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ أبا الخطاب كان أقوى المجموعة شخصية وأصلبهم إرادة، وأمضاهم عزيمة، وأقدرهم على قيادة الأمّة.

وعلى كلٍّ، قبِل أبو الخطاب البيعة بشرط ألاّ يذكرواْ في عسكره مسألة الحارث وعبد الجبار[4] خوفا من الفرقة والاختلاف في صفوف أتباعه، وهنا تتجلى حنكة أبي

---

1) مصطفى بن ادريسو، **الفكر العقدي**، ص 84.

2) الشماخي: **السير**، ص 125، علي يحي معمر: **الإباضية في ليبيا**، ص 49.

3) عوض خليفات: **نشأة الحركة الإباضية**، ص 103.

4) الحارث بن تليد الحضرمي، وعبد الجبار بن قيس المرادي، هما من زعماء الإباضية، اجتمعت عليهما هوارة، لقيادة ثورة ضد عبد الرحمان بن حبيب ووالياه الجديد، وذلك بعد مقتل الزعيم الإباضي عبد الله بن مسعود التجيبي، من طرف إلياس بن حبيب والي طرابلس، حيث أدى إلى رد فعل كبير تجمعت من خلاله الإباضية على هذين القائدين، فكان الحارث بن تليد إماما، وعبد الجبار قاضيا، فقرر الإباضية مهاجمة طرابلس، إذ تمكن الإباضية في أول محاولة عسكرية أن يحققواْ الانتصار لكنه لم يدم طويلا، فقد فوجئت جماهير الإباضية بموت قائديهما في ظروف غامضة 131هـ/ 749م، وتختلف المصادر حول هذه الحادثة، فالدرجيني رجّح أن يكونا قد قتلا، ووضع سيف كل منهما في جسد الآخر للفتنة، انظر الدرجيني: طبقات، ج1، ص 15، علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ ص، ص46، 47. وذكر بعض المؤرخين أنهما اختلفا فاقتتلا، انظر ابن عبد الحكم: فتوح، ص 302، وذكر آخرون أنّ عبد الرحمان بن حبيب حاربهما

الخطّاب وتربية أبي عبيدة له، فقد أزال من الوهلة الأولى جذور الخلاف حول مسألة طال عنها الحديث، وبقي إباضية المغرب مختلفين إزاءها، وهكذا استطاع أن يقضي على الخلافات التي كادت أن تشتّت صفوف الإباضيين.

بمجرد ما بويع أبو الخطاب، راح يرسم مع أصحابه خطّة الاستيلاء على طرابلس، حيث سلّحوا أتباعهم ووضعوهم في جواليق " أكياس" وحملوا كلّ جَوْلَقَيْن على جمل، وأدخلوا الجمال لمدينة طرابلس دون أن يُلفتوا النظر، فلمّا صاروا في وسطها كشفوا عن أنفسهم، وأخذوا ينادون " لا حكم إلاّ لله "[1] وذلك اتباعا لسيرة سلفهم المحكّمة .

لمّا سمع عمرو بن عثمان القرشي عامل أبي جعفر المنصور على طرابلس الأصوات تتعالى وتتهافت " لا حكم إلا لله ولا طاعة إلاّ طاعة أبي الخطاب "[2] أدرك أنّه لا مناص من الأمر، حيث خيّره أبو الخطاب بين البقاء في المدينة على أن يتخلّى عن الولاية، وبين الخروج منها بالأمان، فاختار الخروج إلى المشرق، ورحل بعدما سلّم مفاتيح بيت المال إلى أبي الخطّاب، وبذلك استطاع الإباضية الدخول

فقتلهما، انظر الرقيق: تاريخ إفريقية، ص 129، ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 116، وأيا كانت الحقيقة فإن هذه المسألة ولّدت انشقاقا بين جماعة الإباضية في المغرب، ولم تُجْد نفعا نصائح فقهاء المذهب بالبصرة بالكفّ عن ذكر هذه المسألة، وظلّت تشغل إباضية المغرب، حتى تولّى أبو الخطاب الإمامة سنة 140هـ/ 757م.

1) محمد بن عميرة: **دور زناتة**، ص 96.

2) أبو زكرياء: **سير الأئمة**، ص 61.

إلى طرابلس والاستيلاء عليها، دون أن تسيل قطرة دم واحدة، فأحسن أبو الخطاب السيرة بها، وأظهر العدل والمساواة اللذين طالما تشوّق أهالي المنطقة لهما[1].

وبعد هذا الإنجاز العظيم جاءت رسالة أبي عبيدة ردا على رسالةٍ كانوا توجّهواْ بها إليه يهنّئهم ويعظهم ويوجههم، وهذا فيه دلالة على العناية الفائقة التي يوليها الإمام أبو عبيدة لأهل الدعوة، ضمانا للتواصل والتضامن ووحدة الصف[2].

بعد أن تقلّد أبو الخطاب ولاية طرابلس، انضوت تحت لوائه قبائل نفوسة، وهوارة، وزريشة، وزناته وغيرهم[3]، ويَعتبِر ابن سلام أبا الخطاب أوّلَ من ظهر بالمغرب[4]، وذلك باعتبار أنّه بويع للولاية، وأسّس دولة لها نفوذ، بخلاف ثورة الحارث وعبد الجبار التي هي ثورة غير عامة وغير مخطط لها[5].

في نفس هذه الفترة استولت قبيلة ورفجومة[6] على القيروان، وانتشرت الفوضى بإفريقية، وتعرّض عرب القيروان إلى الظلم والقتل على يد الورفجوميين، وعاثواْ في المدينة فساداً، على عكس ما حدث في طرابلس على يد أبي الخطاب، حيث تذكر المصادر أنّ قبيلة ورفجومة وصلت بهم تصرّفاتهم المشينة إلى أن ربطواْ دوابّهم

1) محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص 152.

2) محمد ناصر: نفس المرجع، ص 153.

3) الدرجيني: **طبقات**، ج 1، ص 23.

4) ابن سلام الإباضي: **شرائع الدين**، تح قيرز شفارتس والشيخ سالم بن يعقوب، دار صادر، بيروت، 1986، ص 117.

5) مصطفى بن ادريسو: **الفكر العقدي**، ص85.

6) ورفجومة هي إحدى بطون قبيلة نفزاوة البترية الواقعة جنوبي إفريقية (تونس حاليا).

بالمسجد الجامع[1]. سار أبو الخطاب بجنوده نحو القيروان، واحتلّ في طريقه قابس، التي كان الصفرية قد استولواْ عليها، ثم واصل زحفه إلى القيروان، وتمكّن من هزيمة الصفرية ودخول القيروان بعد حصارها، وذلك عام 141هـ/ 758م[2].

ضرب أبو الخطاب المثل الأعلى في حروبه، إذ لم يُحدِث ما اعتاد أهل القيروان مشاهدته بعد نهاية الحروب، فلم تمتدّ يد جنوده إلى جثث أعدائهم، فتجدهم يلتزمون بحدود الانتصار، فلم يسلُبوا ميّتا، ولم يتعرّضوا لسكان القيروان وأموالهم، فكان لذلك السلوك وقع حميد في نفوس سكان المنطقة[3].

بعد استيلاء أبي الخطاب على القيروان، عيَّن عليها عبد الرحمان بن رستم[4]، ثم ثم عاد الإباضية الذين معه من زناته وهوارة وغيرهم[5] إلى طرابلس، حيث كانت تنتظره مهمّة حفظ الأمن، وصدّ الهجومات العباسية الآتية من الشرق[6].

إنّ قيام إمامة أبي الخطاب أزعجت الدولة العباسية، ورأت فيها خطرا يهدّد أمنها في المنطقة بل ويمكنها الزحف حتى إلى مصر إن تُركت وشأنها، أضف إلى ذلك أنّه عندما استولت ورفجومة على القيروان، وفَد جماعة من رجالات العرب، على الخليفة المنصور (136 –158هـ)، واستنجدوا به عليها[7]، ممّا جعل هذا الأخير

1) القيرواني: **تاريخ إفريقية**، ص 140، الشماخي: السير، ص 127.
2) الدرجيني: **طبقات**، ج 1، ص 29، ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص113.
3) أحمد إلياس حسين: **الإباضية في المغرب العربي**، مكتبة الضامري، عمان، ط 1، 1992، ص 37.
4) الشماخي: **السير**، 130، عوض خليفات: **نشأة الحركة الإباضية**، ص 107.
5) ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 237، محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص 99.
6) محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص 99.
7) محمد بن عميرة: المرجع نفسه، ص 100.

يوجّه محمدا بن الأشعث الخزاعي[1] واليا على مصر، وكفل إليه مهمّة إنقاذ إفريقية واستردادها، وذلك سنة 142هـ/759م[2].

وفور وصول محمد بن الأشعث إلى مصر أرسل حملة بقيادة العوامّ بن عبد العزيز البجلي ضدّ الإباضية الذين سيطروا آنذاك على المغرب الأدنى، ولمّا سمع أبو الخطّاب بذلك سار للقائه، والتقى الجيشان بموقع " ودراسة "، انهزم على إثره القائد العباسي فعاد إلى مصر[3]، وفي نفس العام تمكّنت جيوش أبي الخطاب من هزيمة جيش آخر بقيادة أبي الأحوص العجلي[4] في غدامس.

لمّا سمع الخليفة بهذه الانتصارات التي أحرزها الإباضية، بعث إلى واليه ابن الأشعث يأمره بالسير لحرب الإباضية بنفسه، وأمدّه بجيش كبير[5]. وعندما سمع أبو الخطاب بأنباء سير ابن الأشعث نحو المغرب، أرسل لولاّته وأتباعه في كل أنحاء المغرب ليوافوه بالمال والرجال لدفع الخطر المحدق بدولتهم الإباضية الفتية[6]، وقد تجمّع لديه ما يزيد عن تسعين ألف محارب[7].

---

1) محمد بن الأشعث بن عتبة الخزاعي، (ت:149هـ) ولاّه أبو جعفر المنصور مصر سنة 141هـ، انظر خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط6 بيروت، 1986 ج 6، ص 39.

2) محمود إسماعيل: **الخوارج**، ص 87.

3) الشماخي: **سير**، ص 130، عوض خليفات: **نشأة الحركة الإباضية**، ص 107.

4) ابن عذاري: البيان، ج1، ص71، ابن الأثير: الكامل، ج5، ص317، عوض خليفات: **نشأة**، ص107.

5) عوض خليفات: المرجع السابق، ص 107.

6) نفس المرجع والصفحة.

7) أبو زكرياء: **سير الأئمة**، ص 12، الدرجيني: **طبقات**، ج 1، ص 12.

ساعدت الظروف ابن الأشعث في ميدان القتال، وذلك لتفرّق جنود أبي الخطاب، إمّا باختلاف قبيلتي زناتة وهوارة، وانسحاب الأولى من ميدان القتال بعد أن دبّ الخلاف بينهما، واللتان تُشكّلان جيش أبي الخطاب[1]، وإمّا بخدعة ابن الأشعث وإعلانه الرجوع، لعدم إعداد جيشه العدة التي تمكّنه من مواجهة أبي الخطّاب، وهذا ما جعل أفراد جيش أبي الخطاب يعودون إلى منازلهم للقيام بأعمال الحصاد، وهذا دون أن يستمعواْ إلى نصيحة إمامهم الذي حذّرهم من خديعة محتملة[2]. وأيّا كانت الأسباب، فإنّ ابن الأشعث تمكّن من هزيمة الإباضية في تاورغا[3] عام 144هـ/ 761م، وقُتِل إمامُهم أبو الخطاب في هذه المعركة، كما استطاع ابن الأشعث أن يهزم مجموعة زناتة التي هبّت لنجدة أبي الخطاب، فانهارت بذلك آخر مقاومة، ودخل ابن الأشعث طرابلس[4].

لمّا وقعت هذه الهزيمة الشنعاء بالإباضية، تشتتواْ في البلاد، والتجؤواْ إلى الجبال يتحصنون بها[5]، لأنّ ابن الأشعث لم يكتف بمعركة تاورغا وما آلت إليه أوضاع الإباضية من ضعف، وإنّما تمادى في ملاحقتهم، وقتَل خلقا كثيرا منهم[6].

هكذا وضعت معركة تاورغا سنة 144هـ/ 761م نهاية لإمامة أبي الخطّاب التي استمرت أربعة أعوام، سيطر الإباضية خلالها على إفريقية والمغرب الأدنى[1]،

1) ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج 1، ص 72.
2) أبو زكرياء: **سير**، ص 14، الشماخي: **السير**، ص، ص 131، 132.
3) تاورغا أو تاورغة: المنطقة التي وقعت فيها المعركة المذكورة، وتبعد مسيرة أربعة أيام من طرابلس شرقا.
4) أحمد إلياس حسين: **الإباضية**، ص 11.
5) ابن عذارى: **البيان المغرب**، ج 1، ص 73، الشماخي: **السير**، ص، ص 132، 133.
6) ابراهيم بحاز: **الدولة**، ص 68.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما مصير إباضية المغرب بعد هذه الحادثة الأليمة؟ وهل قامت لهم قائمة بعد ذلك؟

1) محمود إسماعيل: **الخوارج**، ص 89.

الفصل الثاني:

الإمامة أو ما يُعرف بمسالك الدين عند الإباضية

المبحث الأول: مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها

المبحث الثاني: المعنى الاصطلاحي لـ "مسالك الدين" والفكر التنظيري له

المبحث الثالث: مسلك الظهور

المبحث الرابع: مسلك الدفاع

المبحث الخامس: مسلك الشراء

المبحث السادس: مسلك الكتمان

اشتهر لدى الإباضية مصطلح مسالك الدين، ويُقصد به مراحل إقامة الدين، وصُوَر الإقامة، من أعلاها قوة واستقلالا، إلى أدناها ضعفا وانحلالا. ووضعُ المسلمين فيها خلال هذه المراحل. ويمكن أن يُطلق على هذه المسالك الإمامات، وهي كالتالي: الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان. فما هو مفهوم الإمامة عند الإباضية؟ وما هي شروطها؟ وما المقصود بمسالك الدين كمصطلح تفرّد به الإباضية؟ وما هي أنواعها المختلفة؟ وما ميزة كلٍّ منها؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل الثاني.

المبحث الأول: مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها

1- مفهومها: الإمامة والخلافة والإمارة والرئاسة، عبارات مختلفة في اللفظ متّفقة في المعنى العام[1]، ويقصد بها رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص[2]، تُعهد لمن هو أهل لها، على أن يفرض على الرّعيّة اتّباعه وطاعته ما لم يأمر بمعصية الخالق، فالمهمّة الأساسية هي إقامة الدّين وتطبيق أحكام الله، والمحافظة على وحدة المسلمين، والدفاع عن الأمّة، وهي مهامّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم، من بعد البعثة إلى حين وفاته، فكلّ من تولّى هذه المهامّ يُعتبر خليفة رسول الله في رعاية شؤون الأمة[3].

1) تبغورين بن عيسى: **نخبة المتين من أصول تبغورين**، جمع وترتيب: محمد خليفة مادي، مطبعة الفجالة الجديد، القاهرة، د.تا، ص188.

2) امحمد أطفيّش: **شرح عقيدة التوحيد**، تحقيق مصطفى وينتن، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 2001، ص589.

3) عدون جهلان، **الفكر السياسي**، ص 127.

2- مشروعيتها: يرى الإباضية بوجوب إقامة الإمامة على المسلمين، فهي ثابتة بإجماع الأمّة التي لا تجتمع على ضلال[1]، ويرى الشيخ أطفيّش أنّها من الأصول؛ إذ يقول في شرحه للنيل: " إنّ الأمر والنّهي لا يتمّان إلا بإمام عدل، فنصبه واجب، إذا كان المسلمون على نصف عدوهم الذي يتّقون شوكته "[2]. فالإباضية عموما يرون نصب الإمام، ويقرّر الفكر السياسي لديهم أنّه إذا اتفقت الأمة على تولية إمام عادل لتقلّد تلك المسؤولية فأبى ذلك قتلوه، ونظروا في غيره، تأسّيا بأمير المؤمنين عمر بن الخطّاب في وصيّته للصحابة أهل الشورى الذين كلّفهم باختيار من بعده؛ حيث أمرهم بقتل من يرفض الإمامة إذا اتفقوا عليه، ومثّل ذلك فعله الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مع حملة العلم إلى المغرب[3].

3- شروطها: رغم اعتقاد الإباضية بوجوب الإمامة واقتناعهم بضرورة تعيين الإمام، فإنّهم لا يرونها واجبة في ظروف خاصة، بمعنى أنّ وجوبها مشروط بتوفّر العوامل المساعدة على إقامتها. وقد وضع علماء الإباضية جملة من الشروط لأخذها بعين الاعتبار قبل اختيار الإمام، إلاّ أنّها قد تختلف باختلاف نوع الإمامة المراد إعلانها، فإمامة الظهور ليست كإمامة الدفاع، أو الشراء أو الكتمان.[4]

وسنركّز هنا على شروط إمامة الظهور، وهي ثلاثة:

1) عمار طالبي: **آراء الخوارج الكلامية**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ج1، ص250.
2) امحمد أطفيّش: **شرح النيل**، نقلا عن عدون جهلان، **الفكر السياسي**، ص135.
3) بكير وعلي: **الإمامة عند الإباضية**، ج1، ص121.
4) عدون جهلان: المرجع السابق، ص143.

1- قوة أهل الدّعوة. 2- أن يكون الإباضية "كنصف عدوّهم في جميع ما يحتاجون إليه"[1]. 3- أن يكون فيهم ستة رجال فصاعدا أهل علم بأصول الدّين والفقه، ومن أهل الورع والصلاح[2]. كما يحدّد الشيخ أطفيّش أهمّ ما يُحتَاج إليه لقيام الدولة بقوله: " ما يكفي من سلاح وكراع وعلم ومال "[3].

المبحث الثاني: المعنى الاصطلاحي لـ "مسالك الدين" والفكر التنظيري له.

المسالك لغة: مواضع السلوك، وهي الطرق[4]، قال تعالى: ((الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا))[5].

أمّا **المسالك اصطلاحا:** فهي الطرق التي يُتوصّل بها إلى إنفاذ الأحكام الشرعية[6]، وهي تعبّر عن مراحل الإمامة بالنسبة للإباضية والتي يمكن أن تمرّ عليها في مختلف أدوار حياتها إزاء واجب الدعوة لدين الله[7]، وهي العمل بالدّين وبيان حال المسلم في أطوار الحياة الدينية، والأحوال التي تكون عليها الأمّة[8].

---

1) محمد بن عمر أبو ستّة: **حاشية الوضع**، باب مسالك الدّين.

2) عدون جهلان: المرجع السابق، ص144.

3) امحمد أطفيّش: **شرح عقيدة التوحيد**، ص592 فما بعدها.

4) بدر الدين الشماخي: **مقدمة التوحيد وشرحها**، دار الحكمة، لندن، 2016، ص50

5) سورة طه: الآية 53.

6) امحمد بن يوسف أطفيّش: **شرح عقيدة التوحيد**، تح مصطفى وينتن، جمعية التراث، القرارة، ص113.

7) عبد الرحمان بكلي: **فتاوى البكري**، ج2، المطبعة العربية، غرداية، 1983، ص337.

8) صالح اسماوي: **العزّابة ودورهم في المجتمع الغباضي بميزاب**، ط1، جمعية التراث، القرارة، 2005، ص216.

ويُعتبر هذا الأصل "مسالك الدين" مِن أهمّ ما تميّز به الإباضية في مجال الفكر السياسي؛ فهو يضع جملة من التعاليم والمبادئ التي يحدّد الإباضية مواقفهم السياسية وِفْقَها، في مختلف الظروف الزمانية والمكانية، سواء المتعلقة بالشؤون الداخلية، أين تتواجد التجمّعات الإباضية، أو المتعلقة بالشؤون الخارجية متمثلة في علاقاتهم بالدول الأخرى، أو جماعات مخالفيهم.

ولعلّ السرّ في استمرار الوجود الإباضي، منذ ظهورهم إلى يومنا هذا يعود إلى هذا الأصل الذي يضمن لهم أسباب التكيّف والتأقلم مع الحياة وتطوراتها مع الأمم، وسياستهم مع المخالفين وعقائدهم، كل ذلك ضمْن الإطار الشرعي وفي دائرة الكتاب والسنة.

وخلاصة ما يهدف إليه هذا الأصل "مسالك الدين" هو التخطيط لإقامة دولة إسلامية عادلة دستورها القرآن والسنة، حكّامها خبراء في أمور الدين والدنيا، فإن لم يتحقق هذا المطلب، بأن عَدِمت شروط إقامة الدولة وجب حينئذ السعي لتصحيح الأوضاع أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، بمختلف الوسائل والطرق المشروعة، فقد يضطرّ الموقف إلى إعلان الثورة ضدّ الجور والفساد، وقد تقتضي الحكمة انتهاج سياسة اللين والعمل في الخفاء لإصلاح المفاسد وتغيير المنكر بالتي هي أحسن[1].

وفيما يلي عرض تحليلي لمسالك الدين الأربعة: الظهور، الدفاع، الشراء، الكتمان، مع إبراز العلاقة بين تعاليم الإباضية ومبادئها، وبين ما تقوم عليه نظرية مسالك الدين من أبعاد سياسية.

1) عدون جهلان: **الفكر السياسي**، ص150.

المبحث الثالث: مسلك الظهور

يمثل المرحلة الأولى من مسالك الدين، وتُعتبر أفضل المراحل وأحسنها، وعادة ما تكون هذه المرحلة تتويجا للمساعي والجهود التي بُذلت في المسالك الأخرى، وهي الهدف الذي يقاتِل ويَستشهِد في سبيله الإباضية، وعند الانتصار تسمى هذه الحالة بالظهور، ويعني بها: قيام حكومة إباضية وفقا لتعاليم المذهب الإباضي[1]، وتسير على منهج الشرع الإسلامي، وتنفِّذ أحكام الله، وتقيم الحدود وتصون الحقوق، وتردّ المظالم وتحفظ الثغور، وتحمل دعوة الإسلام إلى بلاد الكفر[2]، لأنّ الدولة حينئذ تكون قد ظهرت على غيرها، بعد أن تكاملت فيها جميع الوظائف العامة والأساسية، ويكون المجتمع الإسلامي فيها حرا ولا يطغى عليه ذو سلطان[3].

ومرحلة الظهور لا تتحقّق إلا " بالإمامة الكبرى لإنفاذ حقوق الله وحقوق العباد، لا يزول إمامهم إلا بإحداث في الإسلام، أو زوال عقل... "[4].

ويستند الإباضية إلى أدلة عديدة لإثبات مشروعية الظهور، منها قوله تعالى: ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون))[5].

---

1) مهدي طالب هاشم : **نشأة الحركة الإباضية في المشرق**، دار الحكمة، لندن، ط1، 2001، ص298.
2) علي يحي معمّر: **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، ص 340.
3) علي يحي معمّر: **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة الأولى، ص93.
4) امحمد بن يوسف أطفيّش: **شرح عقيدة التوحيد**، ص113.
5) سورة آل عمران، الآية 104.

ويشير الإباضية إلى أمثلة من التاريخ للدول في حالة الظهور، كعهد النبي صلّى الله عليه وسلّم بمكة بعد إسلام عمر (ض) وفي المدينة بعد الهجرة، عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر، عهد الإمامة في عُمان، إمامة طالب الحق بصنعاء وحضرموت، والإمامة الرستمية في المغرب الأوسط.

1- علاقة الإباضية بالأمم في مرحلة الظهور:

الإباضية لا يرون قهر غيرهم ولا التدخل في شؤونهم، وغايتهم أن يعيش الجميع في وئام وتفاهم، وهذا ما يلمسه الدارس لتاريخ الدولة الرستمية، حيث سلك الإباضية فيها "سياسة التعايش السلمي مع جيرانهم، واحترموا مبدأ الحرية والعدل والمساواة، وغيرها..."[1]، كما تمتاز دولة الرستميين بانتماء السكان فيها إلى فرق دينية شتى عاش بعضهم مع بعض في سلام ووئام[2].

وفي الوقت ذاته، يجتهد الإباضية في تبليغ الرسالة، والدعوة إلى الإسلام كلّما سنحت الظروف بذلك، وأما علاقتهم بأهل الذمّة فيجب أن تكون علاقة الضعيف المحمي بالقوي الرحيم، والضعيفُ هو غير المسلم الذي يدفع الجزية، وهنا يُفصّل الوارجلاني الكلام عن علاقة الإباضية بأهل الذمّة فيقول: " إن عطّل أهل الذمة ما عليهم من الخراج ومن الجزية سنين عديدة، فإنا نأخذهم بذلك"[3]، يعني بالقوة، لأنّ

1) عدون جهلان: **الفكر السياسي**، ص 152.

2) رشيد بورويبة، موسى لقبال وآخرون: **الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص63.

3) أبو يعقوب الوارجلاني: **الدليل والبرهان**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983، ج3، ص52.

السكوت عن ذلك تعبير عن الضعف، أمّا إذا غاب أهل الذمّة في بلاد بعيدة غير بلادنا، فأتوا علينا فإنا لا نأخذ منهم شيئا من الجزاء، إلا إذا مكثوا في بلادنا سنة كاملة، سواء تلك البلاد التي جاؤوا منها بلاد شرك أو بلاد إسلام[1]، فإن هم ادّعوا أنّهم أعطوا الجزية لبعض أهل تلك البلاد التي جاؤوا منها أو لأهل الخلاف ولهم على ذلك[2]، أما إذا كانت إقامتهم دون العام فليس عليهم شيء، وهم على هذا الحال ماداموا في ملّتهم، أمّا إن اختاروا الإسلام أصبحوا في حكم المسلمين، فيبطل عنهم الفيء والجزية والخراج[3]، وبهذا تُحفظ الحقوق في إطار شرعي من غير ظلم ولا جور.

2- علاقة الإباضية بأهل الخلاف في مرحلة الظهور:

أول واجب للإمام أن يدعو أهل الخلاف إلى ترك ما به خالفوا، " فإن أجابوا للطاعة فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين "[4]، وكان العدل والمساواة في كل شيء، لهم حقوقهم من الفيء والغنائم والصدقات، ولهم علينا دفع الظلم عنهم، وإن غزوا معنا فلهم سهامهم كما لنا[5].

أما إذا فضّل المخالفون المكوث في بلادهم وإقامة دولة لهم فيها ليُجروا أحكامهم وفق مبادئهم، فإنّ الإباضية يتركونهم لشأنهم على شرط أن يعترفوا بالدولة الإباضية

1) نفس المرجع والصفحة.
2) نفس المرجع والصفحة.
3) نفس المرجع والصفحة.
4) أبو زكرياء يحي بن أبي الخير الجناوني: **كتاب الوضع**، مطبعة الفجالة، القاهرة، د.تا، ص17.
5) الوارجلاني: **الدليل والبرهان**، ج3، ص54.

ويذعنوا لطاعتها، يقول الوارجلاني في هذا الصدد: " نأخذ منهم كلَّ ما يجب من الحقوق ونردّها في فقرائهم وذوي الحاجة منهم، ولا نتركهم يُظهِرون منكرا بين أيدينا..."[1].

وإذا وقع صراع مسلّح، فالإباضية لا يتّبعون مُدبرا ولا يُجهِزون على جريح، ولا يقتلون النساء والأطفال والشيوخ، فإذا كان النصر حليف الإباضية رُدّت أموال المخالفين عليهم، إلا ما كان لبيت مال المسلمين.

بعد عرضنا أحوال الإباضية في مرحلة الظهور، نتساءل كيف تكون أحوالهم في مرحلة الدّفاع؟ هذا ما سنراه في المبحث الموالي.

المبحث الرابع: مسلك الدفاع

يأتي هذا المسلك في المقام الثاني بعد مسلك الظهور، وهو أدنى مرتبة وأقلّ درجة وفضلاً، سُمّي بهذا الاسم لأنّ الإباضية يُشْغَلُون فيه بالدفاع عن أنفسهم ودينهم ومكتسباتهم عن إقامة الدولة والظهور على الأعداء، ويكون الإباضية حينئذ قد ضعُفوا وتخلّفوا عن الوصول إلى مرحلة الظهور، وهذا لنقص إمكانياتهم وقلّة عددهم، ورغم ذلك "وجب عليهم ألاّ يهادنوا الظلم، وأن لا يستكينوا للطغيان، وأن لا يسمحوا للأيدي العابثة أن تهتك حُرُماتهم وتحُول دون أمور دينهم، وتتحكّم في

1) نفس المرجع والصفحة.

أعمالهم وعباداتهم "[1]، بل ويصبح أمر الدفاع واجبا، فيلجأ الإباضية إلى اختيار إمام يقود الجماعة لاسترجاع حقوقهم، وتُدْعَى إمامته بإمامة الدّفاع.

تُعقد إمامة الدفاع عادة بعد زوال إمامة الظهور، وضعف الدولة الإباضية، ولعلّ ما يفرض عقد هذه الإمامة ويوجبها أمور، منها:

1- مداهمة العدوّ للأمة وسيطرته على الوضع، وقد يكون هذا العدو من خارج الدولة، استهدف الأرض والشعب، وأطاح بالإمامة القائمة، كما أنّه من الممكن أن يكون العدو من الداخل، كظهور حزب أو فرقة مُنشَقّة تقوم بثورة ضد الحكم القائم.

2- تفشّي الفساد وإشاعة الفاحشة، وكثرة الظلم بسبب انحراف الإمام عن الجادة، وتخلّيه عن الأمانة، وخيانته لله ورسوله والمؤمنين[2].

حينها يجتمع الإباضية على إمام ينصّبونه، " وتجري عليه الأحكام التي تقع في حالة كونه إماما للظهور "[3]، فيعلنون الدفاع عن الدين والأمّة، مبتدئين أولا بتحذير الظالم وإرشاده ونصحه وإقناعه بالرجوع إلى سواء السبيل، فإذا امتنع وتعنّت استكبارا عن الخضوع لأمر الله، حينئذ تتأهّب الجماعة للثورة على الظلم والبغي والجور والكفر، والاستعمار.

1) علي يحي معمّر: **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة الأولى، ص93.

2) نفس المرجع والصفحة.

3) امحمد بن يوسف أطفيّش: **شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ج14، ط2، دار الفتح، بيروت، 1972، ص276.

يسمّى قائد الثورة إمام الدفاع، له على الأمّة الثائرة حق الطاعة والامتثال ما دامت الثورة قائمة، فإذا هدأت واستقرت الأوضاع أصبح واحدا من أفراد الأمة، تزول إمامته بزوال الثورة. قال الشماخي: " والدفاع من الفروض الواجبة إذا عدم الظهور، وهو اجتماع الناس على إمام يقدّمونه عند مقاتلتهم العدوّ الذي أدهمهم، فإن زال القتال زالت إمامته، وتجب عليه جميع الأحكام التي تقع حال كونه إماما، ويجب عليهم طاعته "[1].

ويتّضح من النص السابق أنّ إمامة الدفاع تتمّ باختيار الجماعة، وهذا الاختيار لا يُلزِمها لتقديمه للإمامة بعد انقضاء الحرب، وإنما تزول إمامته بزوال الحرب، ويقدّم لنا البسيوي شاهدا تاريخيا على هذا الأمر، فيقول: " فبايعوا لابن أبي عفان حتى تضع الحرب أوزارها من عمان، ثم الأمر شورى بين المسلمين"[2].

- **نتائج مسلك الدفاع:**

والثورة لا تهدأ إلا بأحد أمرين: الانتصار أو الفشل.

فإذا انتصرت الأمة الثائرة ورجعت الأمور إلى نصابها واستقامت الأوضاع، ارتقت إلى مسلك الظهور، ورجع الأمر لأهل الحلّ والعقد لاختيار إمام للظهور.

أما إذا فشلت الثورة ولم تحقّق أهدافها، فإننا نكون أمام نتيجتين: – استشهاد جميع الثوار، بعد تأديتهم لواجبهم دون تقصير. – بقاء أقلية من الثوار في حالة من

1) الشماخي: **شرح مقدّمة التوحيد**، ص84.

2) عدون جهلان: **الفكر السياسي**، نقلا عن البسيوي: الحجة على من أبطل السؤال.

الضعف، فيختارون بين الدخول في مسلك الكتمان، أو تجديد العزم والدخول في مسلك الشراء. وهذا سنفصّل فيه في المبحث الموالي.

المبحث الخامس: مسلك الشراء

يأتي هذا المسلك كمرحلة ثالثة من مسالك الدّين، تتفق هذه المرحلة مع مرحلة الدفاع من حيث الأهداف المتعلقة بالإطاحة بالسلطان الجائر، وتصحيح الأوضاع السياسية والاجتماعية، وكذا المطالبة بتنفيذ أحكام الشريعة، لكنّهما تختلفان في أسلوب التغيير وطريقة التجسيد على أرض الواقع؛ حيث يعتمد الشراة في تحركاتهم على الحيلة والمباغتة والشراسة من أجل تغيير المنكر وتصحيح الأوضاع في أوساط الدولة الفاسدة.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ علي يحي معمّر: " إنّ هذا التنظيم يشبه أن يكون شغبا على دولة ظالمة...حتى لا تطمئن إلى تنفيذ خُطَطها الجائرة، وقد لا تكون لها نتائج غير هذا القلق يخيّم على الظالمين"[1]، والذين يتولون هذه المهمّة يسمّون ((الشراة)) لأنّهم باعوا أنفسهم بالجنة، أو لشراء أنفسهم من النّار[2]. قال تعالى: ((ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله))[3]، وقال في آية أخرى: ((إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة))[4].

1) علي يحي معمّر: **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة1، ص94.
2) أطفيّش: **شرح عقيدة التوحيد**، ص114.
3) البقرة: الآية 207.
4) التوبة: الآية 111.

1- شروط مسلك الشراء:

ولسلوك هذا المسلك – مسلك الشراء- شروط وأحكام، لعلّ أهمّها:

-عند خروج الشُّراة معلنين الثورة ضدّ الحُكم، أن يكون عددهم من أربعين فما فوق، تأسّيا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم أوّل مرة، فلمّا اكتمل عدد من آمن به أربعون، نزل قوله تعالى: ((فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين))[1]، فأمر بإظهار دعوته والجهر بها[2]، وإذا خرج الشراة فليس عليهم أن يعودوا إلى أهلهم إلا أن يموتوا، أو يقلّ عددهم عن ثلاثة أشخاص، يقول الشيخ أطفيّش: " وإمام الشراء إذا نزل عن ثلاثة فليس عليه شيء، وقيل يجاهد حتى يَظهر أمر الله أو يموت"[3].

هذه بعض الشروط اللازمة على من وهب نفسه طواعية للجهاد ابتغاء مرضاة الله.

ويطرح الأستاذ عدون جهلان تساؤلا مفاده: كيف يعود الثلاثة إلى أهلهم وقد عاهدوا الله بالخروج للموت؟[4] يقول الشيخ عبد الرحمان بكلي: " ذلك اجتهادا منهم، ولولا أن أكون قد تجرأت على مقام أئمتنا لقلت: لا يسوغ لمن باع نفسه لله أن يعود إلى أهله ولو بقي وحيدا، بل يظل موفّيا لصفقته أو يستشهد "[5]، ولعلّ في الأمر

---

1) الحجر: الآية 94.

2) عبد الرحمان بكلي: **فتاوى البكري**، ج2، ص339.

3) أطفيّش: **ترتيب لقط الشيخ موسى بن عامر**، ص16، نقلا عن عدون جهلان: **الفكر السياسي عند الإباضية**، ص161.

4) جهلان: المرجع السابق، ص161.

5) بكلي: المرجع السابق، ج2، ص340.

مقصدا آخر مفاده أنّ البقية الباقية يؤثرون على أنفسهم ليحرموا من الشهادة في سبيل إعادة الكرّة من جديد، ويشكّلوا نواة لجماعة أخرى تعلن الثورة على الفساد، وبهذا يستمرّ البقاء الإباضي[1].

أمّا الشروط أثناء خروج الشراة فقاسية، تأخذ طابعا عقائديا[2]، ولا يقبلها إلا الفدائيون الذي وهبوا حياتهم لحياة الأمة الإسلامية[3]. ويمكن حصر هذه الشروط والتعاليم فيما يلي:

1- لا يعود الشراة إلى ديارهم بعد الخروج إلا في حالات استثنائية، فيمكن لأحدهم أن يدخل منزله اضطرارا للتزود أو لجمع الذخيرة والاستخبار.

2- يُعتبَر العائد إلى منزله –لمهمّة– غريبا عنه، وحُكْمه حُكم المسافر، فيقصّر في صلاته، بينما عندما يكون في سعف الجبال وفي بطون الأودية يُعتبر في منزله وبين أهله[4].

3- أن لا يستقرّ الشراة في مكان واحد، ولا يركنوا إلى الراحة، لأنّ مهمّتهم تقتضي التنقل الدائم واليقظة المستمرة، استعدادا لمباغتة العدوّ في كلّ لحظة.

4- أن لايعترضوا سبيل المسالمين ولا يروّعوا الآمنين، وأن لايمسّوا الشيوخ والنساء والأطفال وكلَّ ضعيف بسوء.

---

1) جهلان: المرجع السابق، ص161.
2) مهدي طالب: **الحركة الإباضية**، ص269.
3) جهلان: المرجع السابق، ص161.
4) نفس المرجع والصفحة.

5- أن لا يُهلِكوا الحرث والزرع والغِلال، وأن لا يهدِموا الأسوار والمباني إلا لضرورة تقتضيها المصلحة.

6- أن لا يتخلّوا عن رسالتهم حتى ينتهي بهم الأمر إلى النجاح أو القتل، والقتل أقرب الأمرين لهم[1].

2- أهداف الشراة:

الغاية القصوى التي يخرج من أجلها الشراة تتمثّل في إعلان الثورة على الظلم والفساد، وتغيير نظام الحكم الذي لا يحكم الرعية بمقتضى الشرع، فيسعى الشراة إلى تحقيق أهداف مرحلية، تكون مطية لبلوغ الهدف الأسمى، وهي تتلخص فيما يلي:

1- قطع المواصلات على السلطة الظالمة.

2- هدم قلاع الطغاة وحصونهم.

3- الاستيلاء على مخازن الذخيرة والعتاد.

4- إثارة الشغب في أوساط أجهزة الدولة المتسلطة.

5- ضرب معاقل السلطة الجائرة وزعزعة هيبتها، حتى تشعر الأمة الإسلامية أنّ هناك قوة روحية أشدّ من القوة المادية الحاكمة التي وصلت إلى الحكم عن طريق الوسائل غير المشروعة، حُبّا في الرئاسة ومفاتنها[2].

1) علي يحي معمّر: **الإباضية في موكب التاريخ**، ج1، ص95.
2) بكير أعوشت: **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، ص112.

يقيّم الشيخ علي يحي معمّر مرحلة الشراء بقوله: " إنه تنظيم رائد للفدائية في الإسلام، عندما يتحكّم الظلم وتُعطَّلُ أحكام الله بأحكام السلطان "[1]، وقد سجّل التاريخ صفحات خالدة لثورات رائدة في مرحلة الشراء، نذكر منها: ثورة أبي بلال مرداس بن حُدَيْر التميمي، وقريب بن مُرّة الأودي، زَحّاف الطائي[2].

والواقع أنّ نظام الشراء عند الإباضية يشبه إلى حدّ كبير حركة ثورية مبدؤها مقاومة الظلم، إمّا بالدعوة السلمية، أو بالقوة إن اقتضى الأمر ذلك[3]، وتتميّز هذه الحركة بالتخطيط المسبق لها، وبحركاتها الدقيقة التي تشبه تنظيمات الأحزاب السرية المعاصرة[4]، فكانت حركة الدعوة الإباضية تسعى دوما إلى التغيير والتبديل نحو الأفضل ضمن مفاهيم ومبادئ وأهداف داخل أُطُر الإسلام وقِيَم العُروبة[5].

المبحث السادس: مسلك الكتمان

المرحلة الرابعة من مسالك الدين هي الكتمان، وهي أدنى درجات الجهاد في سبيل الله، وفيها تفتُر القوة وتضعف النفوس، فيعجز المسلمون عن ردّ المظالم وإنكار المنكر– إلا بالقلب– فترضى الأمة بالواقع، وتستسلم لحكم الجبابرة، ولا تجد سبيلا للثورة ضد الحُكم، فيضطرّ ذوو الغيرة على الدين حينئذ لكتمان أمرهم، وانعزالهم بعيدا عن المجتمع الفاسد، ويوَجّهون نشاطهم لأمورهم الداخلية، ويكونون

1) علي يحي معمّر: المرجع السابق، ج1، ص93.
2) الشماخي: **مقدمة التوحيد**، ص54.
3) علي يحي معمّر: **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، ص298.
4) فاروق عمر: **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، ط2، دار اقرأ، بيروت، 1985، ص40
5) نفس المرجع والصفحة.

بذلك قد دخلوا مرحلة الكتمان، وهو تنظيم خاص للمجتمع الإباضي الذي عجز عن إقامة الدولة، لعدم توفّر الشروط الكافية للظهور[1].

يمتاز هذا المسلك بتنظيم جيّد يقوم على مبادئ وتعاليم دقيقة، توحي بقدرة الإباضية على التنظيم المتّسم بالعقلانية والواقعية والاعتدال في التفكير، وفي إصدار الأحكام ووضع المبادئ، كما تدلّ هذه المرحلة على " النضج السياسي لدى الإباضية، فالكتمان لا يعني السكوت وعدم الحركة، وإنما هو مرحلة إعداد لاستلام السلطة "[2].

لكن الواقع يشير إلى أنّ الإباضية في الكتمان المعاصر لا يفكرون في العودة إلى الظهور، لأنّ الظروف الحالية مختلفة عمّا كانت عليه في القرون الأولى للهجرة، لأنّ وجود سلطة إسلامية قائمة بشؤون الدولة، تُغني الإباضية عن الخوض في المجال السياسي، ولذلك " لم يقم من الإباضية قائم يدعو لنفسه، أو يعمل لغيره، أو يساعد أحدا للوصول إلى الحكم منذ أواخر القرن الثالث للهجرة إلى اليوم "[3].

وفي مرحلة الكتمان يركّز الإباضية نشاطهم على جانبين؛ الأول خاص بالتنظيم الداخلي للمجتمع في المجال الديني والاجتماعي والتربوي والاقتصادي، والثاني يتمحور حول العلاقات الخارجية للمجتمع الإباضي بغيره من الطوائف والمذاهب.

---

1) عدون جهلان: المرجع السابق، ص 130.

2) مهدي طالب هاشم: **الحركة الإباضية**، ص292.

3) عدون جهلان: **الفكر السياسي**، ص165، نقلا عن علي يحي معمّر: **الإباضية بين الفرق الإسلامية**.

1- التنظيم الاجتماعي للإباضية في مرحلة الكتمان:

ما من نشاط داخلي للمجتمع الإباضي في مرحلة الكتمان إلا ويقوم أساسا على مبدإ (المحافظة على الدّين)، حتى أصبح هذا المبدأ عنوان المرحلة وهدفها فقالوا "من ضيّع دينه فليس جاريا على حكم الكتمان "[1]، وللمحافظة على الدّين وجب المحافظة على المجتمع شكلا ومضمونا، مع الاهتمام بالجانب الثقافي لما له من فعالية في استنهاض الهمم وشحذ العزائم، وذلك بحسن تربية النشء والعناية بتعليمه وتلقينه أصول دينه.

والمؤسسات الدينية عديدة تختلف باختلاف المهام المنوطة بها، كالمسجد والعشيرة والمدرسة وغيرها، يقوم برعاية هذه المؤسسات وتوجيهها هيئةٌ عامة متمثلة في حلقة العزّابة، وهو نظام محكم يقوم مقام السلطة في مرحلة الكتمان.

2- حلقة العزّابة، نشأتها ودورها في المجتمع الإباضي.

بعد انقراض دولة بني رستم، وهجرة بقيّة رعاياها إلى الجنوب في وارجلان، رأى علماء الإباضية ومُفكّروهم، أنّه لا بدّ لحفظ جماعتهم، من خطر التشتّت والانقراض، من وضع نظام قارّ[2]، يتناسب مع الظروف التي مرّت بها الإباضية منذ نهاية القرن الثالث الهجري، فسعى العلماء إلى وضع أُسس، يمكن عن طريقها تطبيق الشريعة

1) أطفيّش: **شرح عقيدة التوحيد**، ص114.

2) أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص109.

الإسلامية بين تجمّعات الإباضية، ما دامت الدولة القائمة عاجزة عن ذلك، وما دامت الظروف لا تُمكّنهم من إعادة بناء دولتهم[1].

يقول الدكتور محمد الطّالبي في هذا الصدد: " لقد اهتدى الإباضيون بفضل إخلاصهم لمبادئهم، لإيجاد الحلول الملائمة للوضع، في كل الملابسات التي مرّوا بها، (...) ومن جملة هذه الحلول، الطريقة التي مكّنت أصحاب المذهب الإباضي من المحافظة على كيانهم، نظام العزّابة"[2].

أ- أبو عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي ودوره في تأسيس حلقة العزّابة.

هيئة العزّابة، أو نظام العزّابة، أو حلقة العزّابة، كلّها ألفاظ ومصطلحات لشيء واحد، وهو الهيئة العليا في البلد على الإطلاق، لها النفوذ الروحي على المجتمع الإباضي، والسلطة المطلقة في كل ماله علاقة بالدّين[3]، أو هي بعبارة أوجز: الهيئة الشرعية الحاكمة القائمة مقام الإمامة العظمى في مرحلة الكتمان[4]، والمصطلحات التي تقدّمت ليست إلاّ تعبيرا عن مرحلة من المراحل التي مرّت بها هذه الهيئة، منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر. وتُجمع المصادر الإباضية على أنّ مؤسّس حلقة العزّابة، هو الشّيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي[5].

---

1) أحمد إلياس حسين: **الإباضية**، ص51.

2) انظر مقدمة للأستاذ محمد الطالبي، في كتاب: **نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة**، لفرحات الجعبيري، المطبعة العصرية، تونس، 1975، ص،ص 7،8.

3) محمد صالح ناصر: **حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي**، مكتبة الضامري، دار النصر، القاهرة، 1990، ص12.

4) نفس المرجع والصفحة.

5) أعوشت: ميزاب، ص51.

والجدير بالذّكر أنّ نظام العزّابة، ابتدأ أول مرة لغايات تعليمية، الهدف منه تكوين التلاميذ الذين كانوا يجلسون إلى شيخهم، في شكل حلقة دائرية، ومنها أُخذ اسم الحلقة[1]، ولكنّ هذه الحلقة تطوّرت مع الظروف الزمانية والمكانية، والعوامل الداخلية والخارجية تطورا كبيرا، فتوسّعت لرعاية الفرد في المجتمع الإباضي، في جميع مناحي حياته الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، الاقتصادية[2].

ب- دور حلقة العزّابة في حفظ كيان الإباضية.

تعمل حلقة العزّابة وفق ضوابط معيّنة للإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي، وهي بمثابة الإمامة[3]، وإذا أتينا إلى ذكر مهامّ العزّابة، فإنّه يصعب علينا الفصل بين مختلف هذه المهامّ، وذلك بحكم أن الدّين الإسلامي يتغلغل في كل مناحي الحياة في المجتمع الإسلامي الحقّ، ونظرا لتداخل هذه المهام فيما بينها؛ فبعض المهام مثلا، يمكن تصنيفها في إطار الجانب الاجتماعي، وفي نفس الوقت نجدها ترتبط بالجانب الديني وهكذا، وهنا يمكن القول إنّ حلقة العزّابة، إنّما أنشئت لتكون الإمامة الصغرى التي تُنظّم حياة المجتمع الإباضي، وبالتالي فإنّ من مهامها التشريع والتنفيذ والحكم[4]، أو بالأحرى فهي تمارس السلطات الثلاث.

بعد هذا العرض الموجز، لحلقة العزّابة ودورها في المجتمع الإباضي، يمكن القول في الأخير أنّ هذا النظام كان بديلا للفراغ الذي خلّفه سقوط الدولة الرستمية،

1) محمد ناصر: **منهج الدعوة عند الإباضية**، ص313.
2) محمد ناصر: **حلقة العزابة**، ص10.
3) أحمد إلياس حسين: **الإباضية**، ص21.
4) محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص319.

حيث فكّر أتباع هذا المذهب، في إيجاد نظام يحفظ لهم وجودهم واستمرارهم، فاهتدوا إلى هذا النّظام البديع، الذي تأسّس في القرن الخامس الهجري، في وادي ريغ، على يد أبي عبد الله، محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، فإذا كان انطلاق حلقة العزّابة في بدايتها علميا تربويا، فإنّها عبْر العصور، تحوّلت إلى هيئة عليا، مشرفة على كافة مجالات الحياة، في المجتمع الإباضي بالمغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط خصوصا، فكانت حلقة العزّابة بذلك حكومة متكاملة بالمفهوم الحديث، على رأسها رئيس الوزراء، وهو شيخ العزابة، وتتألّف وزارته من وزراء للعدل والخزانة والأوقاف والشؤون الاجتماعية وغيرها.

الفصل الثالث:

السياسة العسكرية للإباضية ومسالك الدين – مسلك الظهور أنموذجا –

المبحث الأول: الدولة الرستمية ومدى اهتمامها بالجيش

المبحث الثاني: الإمامة الإباضية في عمان وسياساتها العسكرية

المبحث الثالث: الإمامة الإباضية في اليمن وحضرموت ومنطلقاتها في السياسة العسكرية

قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: { وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}[1].

يُعَدّ استتباب الأمن –قديما وحديثا– من أهمّ الأسباب التي تكفل الازدهار والتقدّم لأيّ دولة كانت، وبناء على ذلك، كان من الضروري الاهتمام بإعداد الجيوش وتكوينها، حتى تضمن لتلك الدول ذلك الأمن المنشود، داخليّا وخارجيّا، ولكنّ الفكر السياسي الإباضيّ يُمدّنا بفكرة غريبة مفادها أنّ الإمام – إمام الظهور– لا يحتاج إلى جيش نظامي دائم، وعلى أهبة الاستعداد دوما للدفاع عن حمى دولته، ولحفظ الأمن داخلها. فما مدى صحّة هذا الأمر على أرض الواقع؟ وهل حقيقة لم يكن للجيش والقوة الدفاعية نصيب من اهتمامات الإباضية؟

سنحاول التركيز حول هذه النقطة فيما له علاقة بمسلك الظهور، المسلك الذي هو أكثر المراحل التي تحتاج إلى وجود سياسة عسكرية واضحة، وقوة دفاعية كافية، وبالتالي فإن حديثنا سيقتصر في هذا الفصل على ذكر نماذج من إمامات الظهور لدى الإباضية، وهي: الإمامة الرستمية، الإمامة الإباضية في عمان، والإمامة الإباضية في اليمن وحضرموت.

فما مدى حضور الجيش والقوة الدفاعية لدى الإباضية؟ وهل فعلا لم يكن لهم اهتمام بتكوين جيش دائم وقارّ طول هذه الفترة؟ هذا ما سنتناوله في هذا الفصل.

1) سورة الأنفال، البية 61.

المبحث الأول: الدولة الرستمية ومدى اهتمامها بالجيش

تعتبر الدولة الرستمية أول دولة إسلامية بربرية نشأت في بلاد المغرب الإسلامي، وقد ازدهرت ونمت ونالت شهرة واسعة، اخترقت الآفاق، ولكن قبل أن تقوم هذه الدولة على عودها، مرّت بمراحل تمهيدية، وفترات تحضيرية، من بناء مدينة تيهرت التي اتخذتها عاصمة لها، إلى مبايعة أول إمام لها وهو عبد الرحمان بن رستم. فما هي هذه الممهدات؟ وما هو المسار السياسي لهذه الدولة بعد قيامها؟ وبحكم موقعها الذي كان بين دولتين عدوّتين، الدولة الأغلبية من جهة الشرق، والدولة الإدريسة من جهة الغرب، هل كان لها اهتمام بالسياسة الدفاعية والقوة العسكرية؟ وما مدى صحّة من يرى بأنّها لم تكن تتوفّر على جيش؟ هذا ما سنتطرق إليه فيما يأتي.

1 – ممهدات بناء مدينة تيهرت:

بعد هزيمة أبي الخطاب في معركة تاورغا، عاد عبد الرحمان بن رستم راجعا إلى قابس بعد أن وصلته أنباء استشهاد صاحبه، وانهزام إخوانه، لكنه وجدها قد قامت على عامله بها، فأسرع الخطى نحو القيروان، فلم يجدها بأحسن حال من قابس، عندئذ ولى وجهته نحو المغرب الأوسط مع ابنه عبد الوهاب وخادمهما[1]، وظلوا سائرين بين القبائل الإباضية، عبر مسلك جنوبي وعر، يمر بقسطيلية جنوب

1) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص81.

البلاد التونسية، مرورا بصحراء الجزائر من شرقها إلى غربها[1]، قاصدين بذلك قبيلة لماية بالمغرب الأوسط[2]، وهناك اعتصم مع من اجتمع حوله من قبائل البربر بجبل سوفجج[3] بالقرب من مدينة تيهرت[4].

لما بلغ ابن الأشعث خبر هذا الاجتماع، جهّز جيشا وسار به إلى الجبل المذكور لمحاصرته[5] ولكنه لم يستطع اقتحام الجبل بمن فيه، فخندق حوله مخافة أن يهجم عليه الإباضية بقيادة عبد الرحمان، وبقي ابن الأشعث محاصرا للجبل حتى أيس وخاف انقلاب الأوضاع عليه، مما اضطره إلى الرجوع إلى القيروان دون أن يحقق من ملاحقته لابن رستم أي نتيجة تذكر[6].

مما تجدر الإشارة إليه، أن المصادر غير الإباضية لا تشير إلى ملاحقة ابن الأشعث لابن رستم، بل تذكر أنّ عبد الرحمان لمّا خرج من القيروان اتجه مباشرة إلى موضع تيهرت حيث قبيلة لماية، فنزل عندهم لقديم حلف بينه وبينهم[7]، ومن

---

1) الدرجيني: **طبقات**، ج 1، ص35، محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، ج 3، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 1، 1963، ص256.

2) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص82.

3) سوفجج: هو الجبل المعروف حاليا بسوفكك جنوب تيهرت حيث موطن لماية، انظر: دبوز: **تاريخ المغرب**، ج 3، ص 257.

4) يذكر الدرجيني في الطبقات، ج 1، ص 37، أنّ الإمام عبد الرحمان بن رستم لما تحصّن بجبل سوفجج لحقه هناك ستون شيخا من شيوخ الإباضية من طرابلس.

5) محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، ج 3، ص 260.

6) الشماخي: **سير**، ص 133، الباروني: **الأزهار الرياضية**، ج 2، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.تا، ص 3، إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية**، ص 82.

7) ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 247، حيث ينفرد ابن خلدون برواية الحلف بين لماية وعبد الرحمان.

أخبار عبد الرحمان التي غفلت عنها المصادر الإباضية أنّ ابن رستم كان من المشاركين في حصار طبنة قاعدة الزاب سنة 153هـ/ 771م، بجيش قوامه خمسة عشر ألفا[1]، ولما كان هذا الحصار فاشلا، فقد انهزم عبد الرحمان في تهودا القريبة من طبنة، بعد أن فقد من أصحابه نحو ثلاثمائة رجل[2].

كانت هزيمة الإباضيين بتهوده، سببا في اقتناعهم بضرورة تأسيس دولة تلُمّ شمل إباضية المغرب وإنشاء مدينة تكون عاصمة لدولتهم، ومركزا لمذهبهم[3]، وعند استحالة جعل طرابلس مركزا لإمامتهم، حسب الخطة التي اتفق عليها حملة العلم لدى عودتهم من البصرة، نظرا لكونها تقع بين مركزين هامين للدولة العباسية هما مصر والقيروان. فقيام أي دولة مناوئة للخلافة بين هاتين النقطتين يعني ضياع ولاية إفريقية[4]، وهذا ما جعل عبد الرحمان بن رستم يمهّد للاستقرار في المغرب الأوسط.

وقد تريّث الإباضية في اختيار موضع مدينتهم[5]، وحرصوا على إقامتها في مكان مكان جيد الهواء، كثير المياه، خصب الأرض قابل للعمارة، مأمون من العدو[1].

---

1) الرقيق القيرواني: **تاريخ افريقية والمغرب**، تحقيق المنجي الكعبي، مطبعة الوسط، تونس، 1967، ص 143، ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج. س. كولا ن وا، ليفي برو فنسال، دار الثقافة، بيروت، 1948، ج 1، ص 76.

2) يبالغ ابن عذارى عندما يجعل عدد قتلى أصحاب عبد الرحمان يصل إلى ثلاثة آلاف في هذا الحصار.

3) محمود إسماعيل: **الخوارج**، ص 147.

4) أحمد إلياس حسين: **الإباضية**، ص 13.

5) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 147.

2 – بناء االعاصمة تيهرت:[2]

لما كثر الإباضية من المغربين الأدنى والأوسط، وتمركزوا في نقطة واحدة رأوا ضرورة بناء مدينة يأوُون إليها ويتحصنون بها[3]، ويبدو أنّ الانطلاقة الفعلية لبناء هذه المدينة[4]، التي ستصبح عاصمة الدولة الرستمية فيما بعد، كانت في نهاية 155هـ، وبداية عام 156هـ/ 771، 772م[5].

اجتهد عبد الرحمان ومن معه من أهل الدعوة على إيجاد مكان مناسب لبناء مدينة مثالية تحصينا ومنعة، وكان الموقع المختار أشجارا وأحراشا ومرتعا لأنواع السباع[6]، وتفصّل بعض المصادر[7] الخطوات العملية في بناء المدينة بداية من المسجد الجامع، ونهاية بالدُّور والقصور، والبيوت والأسوار الحصينة.

---

1) الباروني: **الأزهار الرياضية**، ج 2، ص6.

2) تيهرت: هناك من يكتب تيهرت بالألف مكان الياء " تاهرت " وهو خطأ، وإنما حُرّفت الكلمة مع مرور الزمن، والصحيح هو تيهرت، ويذكرها المغاربة مثل الرقيق القيرواني وابن عذاري بذلك. انظر كذلك دبوز: **تاريخ المغرب العربي**، ج 3، ص 262، وتقع تيهرت على بعد 9 كلم من تيهرت اليوم، وتبتعد عن مدينة وهران في الشمال الغربي الجزائري بحوالي 240 كلم، وتفصلها 430 كلم عن الجزائر العاصمة في الشمال الشرقي منها، انظر، إبراهيم بحاز: **الدولة الرسمية**، ص86.

3) أبو زكرياء: **سير**، ص 53، الدرجيني: **طبقات**، ج 1، ص 31، الشماخي: **سير**، ص 139، إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية**، ص 85.

4) يذكر عبد الرحمان الجيلالي أن تيهرت شرع في بنائها سنة 148 هـ، انظر: **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، ص 220.

5) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 85.

6) محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص 181.

7) الشماخي: **سير**، ص 139، الباروني: **الأزهار الرياضية**، ج 2، ص 6، إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية**، ص–ص 86 –87.

دلّ عبد الرحمان على بعد نظره باختياره المغرب الأوسط قاعدة له، ونزوله منطقة تيهرت، فهي بعيدة عن القيروان، تفصل بينهما منطقة الزاب وجبال الأوراس، وهي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبُعدها عن الساحل[1]، وفي موقع متوسط بين التل والصحراء، وبذلك فهي حلقة وصل بين تجارة الصحراء، وما وراء البحر على الطريق بين الشرق والمغرب الأقصى والأندلس، إضافة إلى ذلك فهي تقع في منطقة خصبة ذات مناخ ملائم، كما أنه باختياره هذا الموقع يكون قد تخلّص من مشكلة المياه، فهي تقع على نهر مينة ونهر تاتش[2]، وهناك عامل آخر على درجة كبيرة من الأهمية، هو وقوعها في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة[3].

لهذه الميزات الفريدة ساوم الإباضية سكان موضع تيهرت من بربر صنهاجة[4] على يبعه فأبوا، لكنهم تسلّموه منهم على أن يستصلحوه، ويكون لهم نصيب من خراجه، ثم أخذ الإباضية في تأسيس المدينة[5]، وكان الموضع غياطيل، وأشجار ملتفة كثيفة، ومرتعا لأنواع الوحوش والسباع، اقتضت الضرورة اقتلاع كلّ ذلك، وأُحرِقت الغابة، واستوت بالأرض كأن لم تكن بالأمس، هناك فكروا بادئ ذي بدء بتأسيس المسجد الجامع، فاقترحوا لذلك أربعة أماكن، ثم شرعوا في بناء المكان الذي

---

1) يوسف جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص31.

2) نفس المرجع والصفحة.

3) نفس المرجع والصفحة.

4) البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، نشره: البارون دوسلان، الجزائر، 1957، ص 68، محمود إسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب**، ص 148.

5) محمود إسماعيل: نفس المرجع والصفحة.

وقعت عليه القرعة، ثم اختطوا المدينة دُورا وقصورا وبيوتا[1] ويحيط بالكل سور مُحكَم، وتفننوا تدريجيا في عمارتها وتنظيمها حتى كانت عروس تلك الأقطار، وفخر تلك الديار[2].

إنّ المدينة بهذا الشكل والوصف هي حقا كما يقول ابن عذاري غيضة بين ثلاث أنهر[3]، وقد أبدع المقدسي في وصف تيهرت حيث يقول: " هي بلخ المغرب، قد أحدق بها الأنهار، والتفّت بها الأشجار، وغابت في البساتين... انتعش فيها الغريب، واستطابها اللبيب ..."[4].

هذه هي ولا شك الأسباب التي دفعت عبد الرحمان وأصحابه إلى اختيار موضع تيهرت عاصمة لدولتهم الناشئة، دون غيرها من المدن في المغرب الأوسط[5].

ثم استمرت المدينة بعد ذلك في التطور والعمران، وقصدها الإباضية من المغرب العربي كلّه حتى كان عام 160هـ[6]، عندما استأنس الإباضية من أنفسهم

---

1) أبو زكرياء: **سير**، ص 53، الدرجيني: **طبقات**، ج 1، ص 41، الشماخي: **سير**، ص 139، إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص86.

2) سليمان الباروني: **الأزهار الرياضية**، ج 2، ص 8.

3) ابن عذاري: **البيان**، ج 1، ص 277.

4) المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، لندن، ط 2، 1906، ص 288.

5) إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية**، ص88.

6) أبو زكرياء: **سير**، ص 53، الدرجيني: **طبقات**، ج 1، ص–ص 40 – 41، الشماخي: **سير**، ص 139، حيث ذكر أبو زكريا أن عبد الرحمان تولى الإمامة سنة 160هـ، أو 162هـ، وتبعه في ذلك كل من جاء بعده كالدرجيني والشماخي وغيرهما، أما ابن عذاري والذين نقلوا عنه خاصة من المحدثين فيجعل ابتداء الإمامة الإباضية الرستمية سنة 161 هـ، انظر: الباروني: **الأزهار الرياضية**، ج 2، ص 101، ابن عذاري: **البيان**، ج 1، ص196.

قوة، ووجدوا أنهم يملكون كل دوافع إعلان إمامة الظهور مثل العدد والقوة المطلوبة، والمكان الحصين، فنظروا إلى من يتولى هذا الأمر فلم يجدوا أبرز من عبد الرحمان بن رستم، لسابقته ودينه وعلمه[1]، وهذا ما سنفرد له حيزا مستقلا في العنوان الموالي.

3- مبايعة عبد الرحمان بن رستم بالإمامة ونشأة الدولة الرستمية:

يورد لنا ابن الصغير[2] كيفية اختيار عبد الرحمان إماما لإباضية المغرب فيقول: "... لما نزلت الإباضية مدينة تيهرت، وأرادوا عمارتها، اجتمع رؤساؤهم فقالوا: قد علمتم أنه لا يقيم أمرَنا إلا إمام... فقلّبوا أمرهم فيما بينهم فوجدوا كلّ قبيل منهم فيه رأس أو رأسان ... يستحق أمر الإمامة، فقال بعضهم لبعض: ...هذا عبد الرحمان بن رستم، لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه، وقد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمان قاضيا وناظرا، فقلّدوه أموركم، فإن عدل فذلك الذي أردتم، وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه، ولم تكن قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه..."[3].

هكذا يكون عبد الرحمان بن رستم، بعد مبايعته بالإمامة من طرف إخوانه في المذهب أوّلَ إمام لأول دولة إسلامية في المغرب الأوسط، عُرفت في التاريخ بالدولة الرستمية، وكانت دولة إباضية تستظل بها جميع القبائل المعتنقة لهذا المذهب من

---

1) إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 91 .

2) ابن الصغير هو مؤرخ الدولة الرستمية، عاصر أواخر أيّام الرستميين، حيث قصدها في أواخر أيّام الإمام أبي اليقضان. يعتبر كتابه: " أخبار الأئمة الرستميين " المرجع الأول وربّما الوحيد لتاريخ الأسرة الرستمية. انظر، مقدّمة كتاب ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986، ص11 فما بعدها.

3) ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 25 -27.

المغربين الأدنى والأوسط، إضافة إلى المذاهب الداخلة ضمن حدودها، كما تُعتبر الدولة الرستمية ثمرة جهود علماء المذهب الإباضي في المشرق والمغرب، وتتويجا لثورات الإباضية ضد الولاة الأمويين والعباسيين في المغرب الإسلامي[1]. وبهذا انطلقت الدولة الرستمية انطلاقة قوية، تعبّر عن متانة في أركانها وقوة في تأسيسها، وتستمر في الشموخ والرقي الحضاري ردحا من الزمن، ثم تتداعى إلى الخمول والضعف فالسقوط[2].

4- السياسة العسكرية لدى الرستميّين:

تتضارب الآراء حول فكرة غياب الجيش الرستمي، فهناك من يرى أنّه كان للدولة الرستمية جيش نظاميّ وكيان عسكري، بينما يرى آخرون أنها لم تكن تتوفر على جيش قائم بذاته[3]، قد يكون الرأي الثاني صحيحا، لكن لا يعدو أن يكون ذلك في بدايات الدولة فقط؛ إذ أنّها أصبحت تمتلكه ابتداء من عهد الإمام الثاني عبد الوهّاب[4].

فلا يمكن أن تخلو دولة من الجيش، حتى ولو كان صغيرا وغير منظّم بالشكل المطلوب، فبالرغم من أنّ الدولة الرستمية لم تكن لها قوة عسكرية ضاربة، إلاّ أنّها

1) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص96.

2) المرجع السابق، ص97.

3) إبراهيم بحاز: **السياسة العسكرية عند الرستميّين**، مقال: مجلة الآداب والعلوم الإنسانسة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، العدد9، قسنطينة، 2008، ص63.

4) علي عشّي: **الجيش الرستمي "دعوى الغياب ومقتضى الحضور"**، مقال: دورية كان التاريخية، دار ناشري، العدد13، باتنة، 2011، ص102.

كانت تمتلك جيشا يُعتمد عليه في الدفاع عن حُرمة تيهرت وحدود البلاد[1]، إلاّ أنّ الشيخ علي يحي معمّر يرى أنّ الدولة الرستمية هي الوحيدة التي ليس لها جند قابع في الثكنات، ينتظر التعليمات ويحلم بالمكاسب والمغانم من وراء الحرب والغارات[2].

فالجيش الرستمي كان مؤلَّفا من مجنّدين متطوعين، أي الذين يشتركون في الجيش زمن الحرب فقط، ويُسرَّحون وقت السّلم[3]. فالمصادر الإباضية تشير إلى أنّ الجيش في الدولة الرستمية ليس حكوميّا، بمعنى أنّ الدولة لم تجهّز قوة عسكرية موحّدة، وإنّما الجيش فيها يتكوّن من مجموعة جيوش، كلٌّ جيش ينتمي إلى قبيلته "وكانت كلّ قبيلة تسلّح نفسها وتستعدّ للحرب لتجيب داعي الإمام إذا استنفرها ودعاها لحروبها المشروعة"[4]، وإذا وضعت الحرب أوزارها تفرّق الجنود، ورجع كلٌّ جيش إلى قبيلته التي تولّت تسليحه، وبهذا تتولّى كل قبيلة تدريب جنودها أساليب الحرب، وتُعلِّم فرسانها فنون القتال استعدادا لأيّام الوغى[5].

وكان الرعيّة يولون عناية كبيرة بالتدريب العسكري ويُظهِرون حبا لفنون الفروسية، فكان في كل مدينة ميادين عامّة يخرج إليها الشباب، لتعلّم أساليب القتال

1) عمّورة عمّار: **الجزائر بوابة التاريخ**، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج1، ص78.

2) علي يحي معمّر: **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة 4، الإباضية في الجزائر، ج1، ط3، مكتبة الضامري، عمان، ص51.

3) جورج كاستيلان: **تاريخ الجيوش**، تر: كمال دسوقي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1950، ص65.

4) محمد علي دبّوز: **تاريخ المغرب الكبير**، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج3، 1963، ص366.

5) عدون جهلان: **الفكر السياسي**، ص 229.

من قادة وفرسان المدينة، وذلك في مناسباتهم وأفراحهم، ممّا تولّد لديهم مهارة في القتال، وبراعة في الحروب[1].

كما كانت الدولة الرستمية تعتمد في حروبها على الجند المتطوّع، سواء تعلّق الأمر بصدّ عدوان خارجي، أو بقمع ثورة داخلية؛ إذ يعلن الإمام ويدعو النّاس إلى حمل السلاح ردّا لعدوان، أو إخمادا لثورة أو تمرّد، فيندفع النّاس تطوّعا، بلا إكراه ولا طمع في مكاسب من وراء ذلك[2].

ومن مزايا الجند المتطوّعين أنّهم يحاربون عن عقيدة ومبدأ، وهم بذلك يُظهِرون شجاعة واستماتة تفوق ما يُظهره الجند المرتزقة الذين يسترزقون بالقتال[3].

أمّا من حيث قيادة الجيوش، فكان الأئمّة الرستميّون هم من يتولون هذا الأمر، لأنّ الإمام عندهم هو زعيم ديني وسياسي وعسكري[4]، وهو بمثابة القائد الأعلى للقوات المسلّحة بالمفهوم المعاصر، ويتولى بنفسه مراقبة الجيش والإشراف عليه، ويحرص على اختيار الرجال الأكفاء، وأصحاب التأهيل العالي والخبرة الواسعة[5].

ورغم ذلك، لم يكن الأئمة الرستميّون يستسيغون اتباع السلطة العسكرية، بل كانوا لا يلجؤون إليها إلا عند الضرورة القصوى، حين نشوب اضطرابات داخلية

---

1) الباروني: المرجع السابق، ج2، ص126. دبّوز: المرجع السابق، ج3، ص325.

2) علي يحي معمّر: **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة4، الإباضية في الجزائر، ج1، ص50.

3) نفس المرجع، ص52.

4) عبد القادر جغلول: **تاريخ الجزائر والمغرب العربي**، تر: فضيلة الحكيم وآخرون، ذاكرة النّاس، 2013م، مج1، ص70.

5) عدون جهلان: المرجع السابق، ص229.

كالفتن أو الحروب[1]، وإن اقتضى الأمر ذلك، فإنّهم يُمدّون جنودهم بما يحتاجون إليه من المؤونة والأسلحة، وكان جيشهم يتألّف من الفرسان والمشاة، وكان الفرسان يتسلّحون بالدروع والسيوف والرّماح والحِراب والأقواس والسّهام[2].

وممّا له علاقة بالجانب الأمني، التحصينات العسكرية التي تلعب دورا هامّا في حماية المدن، فكانت تيهرت محاطة بعدد من الحصون والقلاع[3] كحصن الأسرة الرستمية بجوار لواتة، وحصن نفوسة، وحصن قبيلة لواتة[4].

يقول البكري عن مدينة تيهرت: " ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة أبواب: باب الصّفا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن "[5].

وينبغي أن نشير هنا إلى نقطة بالغة الأهمّية، والمتمثلة في القِيَم التي يتحلّى بها الإباضية عموما والرستميون خصوصا في حروبهم، فكانوا إذا انتصروا لا يأخذون من غنائم المسلمين، ولم يكن الجيش الرستمي يتّبع هاربا، ولم يكونوا يُجهِزون على جريح[6]، وقد حرّموا أموال المنهزمين تحريما قاطعا، ولتاريخهم دلائل تثبت هذا

1) إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، ص211.

2) حسن إبراهيم حسن وآخرون: المرجع السابق، ص184.

3) مختار حساني: **التنظيم العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن16**، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص201.

4) إحسان عباس: مقال: **المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين**، مجلة الأصالة، الملتقى 11 للفكر الإسلامي، بيروت، ص 32.

5) أبو عبيد البكري: **المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي**، بيروت، 1992، ج2، ص733.

6) جودت عبد الكريم: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص301.

التوجّه، ففي معركة ابن طولون مع إلياس بن منصور النفوسي[1]، لمّا انهزم أمام النفوسيين تناثرت تلك الأموال التي سرقها من خزانة مصر ليبني بها مُلكه في القيروان، فلم يُقبل عليها النفوسيون، لأنّهم يرون تحريم غنيمة المسلمين[2].

إذا كان هذا هو حال الجيش والقوة الدفاعية لدى الدولة الرستميّة كإمامة من إمامات الظهور لدى الإباضين، فما هو حال إمامات الظهور الأخرى: إمامة عُمان، وإمامة اليمن وحضرموت؟ هذا ما سنراه في المبحثين المواليين.

المبحث الثاني: الإمامة الإباضية في عمان وسياساتها العسكرية

1- عُمان الاسم والموقع:

أ- **اسم عُمان:** أورد ابن دريد، وهو عماني عاش بها لسنين عديدة[3]، أنّ كلمة عُمَان مشتقة من فعل عَمِنَ بالمكان، يعمَنُ به إذا أقام به[1]، ويقول ابن منظور في

---

1) تعرّضت حدود الدولة الرستمية الشرقية في عهد أبي اليقظان بن أفلح إلى الغزو من ناحية مصر عام 267هـ/880م من طرف العباس بن أحمد بن طولون، الذي خرج من مصر ثائرا على والده، متّجها نحو بلاد المغرب، إلاّ أنّ الأغالبة واجهوه قبل أن يصل إلى طرابلس، ولمّا لم يتمكنوا منه، اعتصموا بالمدينة، وحاصرهم ابن طولون فيها أكثر من أربعين يوما. لم يكتف ابن طولون بهذا، بل تجرأ وأرسل إلى إلياس أبي منصور النفوسي –عامل الرستميين على نفوسة– يتوعده وينذره ويدعوه إلى الطاعة، ويقول له: "أقبل بسمعك وطاعتك، وإلا وطيت بلدك بخيلي ورجلي، وأبحت رحمك، وهذا ممّا دفع أبا منصور ونفوسة إلى التوجه نحو طرابلس، وفكّ حصارها، وقتل الكثير من جنود ابن طولون وهزمهم، انظر: ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م، ص119، حيث يذكر أن النفوسيين لما تمكّنواْ من ابن طولون وهزموه، انتهب أهل طرابلس جميع عساكره، بينما تورع النفوسيون كعادتهم عن أخذ شيء من هذه الأموال وفقا لمبادئهم.

2) إبراهيم بحاز: **السياسة العسكرية**، المقال السابق، ص66.

3) أحمد العبيدلي: **الدولة العمانية الأولى**، دار جريدة عمان، 1996، ص 23.

هذا الصدد: "عَمَنَ يَعْمُنُ وعَمِنَ: أقام، وأنّ العُمُن: المقيمون في مكان، ومنه اشتقّ عُمَان"[2]، وقد باتت هذه البقعة تُعرف باسم عُمان، اشتقّ منها فعل يطلق على من ذهب إليها أو عاش بها[3]. كما أنّ هناك تفريق واضح بين عُمان وعمَّان، فالأولى كورة بالجزيرة، والثانية مدينة بالشام[4].

ب- الموقع: تقع عمان في جنوب شرق الجزيرة، يحدّها من الشمال والشمال الشرقي الخليج العربي وخليج عمان، ومن الشرق والجنوب الشرقي بحر العرب، ومن الجنوب الغربي اليمن، ومن الشمال الغربي المملكة العربية السعودية[5].

2- مهاد تاريخي قبل ظهور الإمامة الإباضية بعُمان:

تتفق المصادر الحديثة على عدم توفّر معلومات موثوقة عن تاريخ تسرّب أفكار أهل الدعوة إلى عُمان، إلاّ أنّه يُرجَّح أن تكون صلتهم بها منذ نشأتها[6]، فعدّة مصادر تشير إلى العلاقات الحميمة التي كانت بين أزد البصرة، وأزد عمان، ممّا وطّد الصلات بينهم، والدليل على ذلك أنّ معظم الأئمّة والقادة الذين اعتمدت عليهم الحركة في نشر دعوتها في اليمن وحضرموت والحجاز من أزد عُمان، منهم:

---

1) ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن: **جمهرة اللغة**، حيدر أباد، 1344هـ، ج3، ص142.
2) ابن منظور محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، بيروت، د.ت، ج3، ص289.
3) أحمد العبيدلي: المرجع السابق، ص 23.
4) نفس المرجع، ص 25.
5) نفس المرجع، ص28.
6) محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص 169.

المختار بن عوف الشاري، بلْج بن عقبة الأزدي، صحار العبدي، هلال بن عطية العماني، والربيع بن حبيب، وغيرهم[1].

يشير الشيخ أطفيّش إلى أنّ حملة العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى عمان هم: محبوب بن الرحيل، موسى بن أبي جابر الأزكوي، المنير بن النيّر[2]، وقد كان لشيخهم أبي عبيدة تأثير واضح في الأدوار السياسية التي سيضطلعون بها في الحياة العمانية، فلم يكونوا مجرّد فقهاء وأصحاب فتوى فقط، بل إنّهم كانوا رجال فكر ودولة أيضا[3].

أثمرت جهود حملة العلم بسرعة في نشر المذهب الإباضي في عمان، وأصبح معظم أفراد قبيلة الأزد هناك ينتمون إلى هذه الفرقة، كما أنّ أفرادا كثيرين من قبائل أخرى قد انضمّوا إليها[4]، وأصبحت عمان من أهمّ المعاقل الإباضية[5]، حتى أنّه قيل: قيل: " بدأ العلم بالمدينة، وفرّخ بالبصرة، وطار إلى عمان "[6]، وهذا ما أثبته التاريخ، التاريخ، حيث غَدَت عمان مركز إشعاع حضاري للإباضية[7].

1) نفس المرجع: ص 170.

2) امحمّد أطفيّش: **الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان**، طبعة حجرية، 1304هـ، ص109.

3) مهدي طالب هاشم: المرجع السابق، ص158.

4) عوض خليفات، **نشأة الحركة الإباضية**، ص130.

5) عبد الله بن سعود أمبوسعيدي: **الإباضية في عمان**، دار الأمل، عمان، 2003، ص 61.

6) سالم بن حمود السيابي: **طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي**، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1980، ص133.

7) عبد الله أمبوسعيدي: المرجع السابق، ص61.

وهناك عدّة أسباب وراء انتشار الدعوة الإباضية في عمان[1]، من أبرزها:

- تطلّع أئمة البصرة إلى إقليم جديد ينشرون فيه المذهب، بعيدا عن ضغط الأمويين وعيونهم.
- نفي الحجّاج بن يوسف الثقفي للإمام جابر بن زيد إلى عمان، والذي اكتسى أهمّية كبيرة في التأثير على أهل عمان، لكونه أزديا من نفس القبيلة المنتشرة هناك، إضافة إلى مكانته العلمية البارزة.
- انتقاء الداعية أبي عبيدة تلاميذه من مختلف الأقطار، سهّل على حملة العلم التأقلم مع أهلهم الأزديين العمانيين.
- التقارب القَبَلي بين أزد البصرة وعمان، والذي كان له أثره في انتقال الأفكار بينهم.
- استفادة العمانيين من تجربة إمامة اليمن، خاصة وأنّ قادتها كانوا عمانيين، كأبي حمزة الشاري، وبلج بن عقبة، وصحار العبدي، وهلال بن عطية، وغيرهم.
- البعد عن مركز الخلافة عرقل الأمويين من تتبع مجريات الأحداث عن كثب، سيما الأقطار النائية منها كعمان.
- انهماك السلطة الأموية في الصراع مع الحركات المعارضة، كالخوارج، ومع المناوئين لهم على السلطة من العبّاسيين.

---

1) للمزيد حولها، انظر: مصطفى ابن ادريسو: **الفكر العقدي**، ص 122 فما بعده. مهدي طالب هاشم: **الحركة الإباضية**، ص 175 فما بعدها. عمرو خليفة النامي: **دراسات عن الإباضية**، تر: ميخائيل خوري، مر: ماهر جرّار، تع: محمد ناصر، صالح باجو، ط2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، ص 11 فما بعدها. محمد ناصر: منهج الدعوة، ص 144 فما بعدها.

تهيّأت الظروف السياسية في عمان من الناحيتين الداخلية والخارجية لإقامة الإمامة الإباضية، فقد ولِي عمان في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، عمر بن عبد الله الأنصاري، وكان مهادنا للإباضية، وقد خلفه في عمان زياد بن المهلّب الذي تولّى حكم عمان حتى قيام الخلافة العباسية عام 132هـ/ 748م، وبسبب الرابطة القبلية التي كانت تجمعه بأهل عمان، فإنه لم يتعرّض لهم بالمضايقة، حتى أصبح المذهب الإباضي بمرور الزمن حركة واسعة النّطاق، لها تأييد واسع من وجهاء قبيلة الأزد[1].

ولمّا قامت الخلافة العبّاسية، عيّن أبو العبّاس السفاح جناح بن عبادة بن قيس الهنائي واليا على عمان، وكان هذا الأخير " جاهر الإباضية وأعانهم حتى صارت الولاية للإباضية بعمان "[2]، ثمّ عيّن مكانه ابنه محمد بن جناح الذي كان كأبيه عديم الميل للدولة العبّاسية[3]، و" داهن الإباضيةَ حتى صارت ولاية عمان لهم، فعند ذلك عقدوا الإمامة للجُلندي بن مسعود، فكان سببا لقوة المذهب.. "[4].

ممّا سبق، يتّضح أنّ الظروف الداخلية أسهمت بدرجة كبيرة في نمو الدعوة الإباضية في عمان، كما أنّ الظروف الخارجية المحيطة بالبلد، والمتمثّلة بعدم وجود سلطة مركزية، نتيجة الصراع بين الدولة الأموية وحركة المعارضة العبّاسية التي

1) مهدي هاشم: المرجع السابق، ص 162.

2) مهدي هاشم: المرجع السابق، ص162، نقلا عن : سلمة بن مسلم العوتبي: **أنساب العرب**، مخطوطة بدار الكتب المصرية، تحت رقم 2461.

3) نفس المرجع والصفحة.

4) الأزكوي: **كشف الغمّة**، ورقة 328.

تمكّنت في الأخير من القضاء على الأمويين، وأن تحلّ محلّهم عام 132هـ[1]، جعلت عمان بمنأى عن ميدان الصراع الذي شمل بلاد خراسان والعراق وبلاد الشام.

3- قيام الإمامة الإباضية في عمان وأبرز ملامح سياستها العسكرية:

لمّا كانت الأحوال في عمان قد تهيّأت لإعلان إمامة ظهور مستقلة، بايع الإباضية الجلندي بن مسعود إماما لهم فيها، وقد اختاروه لهذه المهمّة استنادا لعدّة أمور[2] منها:

- دوره الكبير في النشاط الإباضي في حضرموت واليمن؛ إذ يقال بأنّه حضر مبايعة عبد الله بن يحي طالب الحقّ إماما للظهور في اليمن، وكان ضمن المبايعين له[3].
- تميّزه بصفات حميدة، كالتواضع والتسامح والعفّة، إضافة إلى ورعه وعلمه.
- كفاءته من الناحية الجسمية، وسلامة حواسه.

ويبدو أنّ إعلان الإمامة الإباضية كان بإيعاز من إمام البصرة أبي عبيدة، خاصة وأنّ الظروف كانت مواتية لذلك، كما أنّها جاءت بعد نكسة الإباضية في اليمن وحضرموت، فبويع الإمام الإباضي في عمان، ووُجّهت الدعوة لبقية المسلمين

1) محمد عبد الله السالمي: **عمان تاريخ يتكلّم**، دار دمشق للنشر، 1963، ص131.
2) محمد قرقش: **عمان والحركة الإباضية**، ط2، مكتبة مسقط، 1994، ص 206.
3) محمد ناصر: **منهج الدعوة**، ص171.

لمبايعة الإمام الجلندي خليفة للمسلمين، ووصلت المساعدة المادية من البصرة مع يحي بن نجيح[1].

وأصبح الجلندي بن مسعود[2] أول إمام إباضي في عمان، وكان ذلك سنة 132هـ، وقد بويع من قِبَل العلماء، حينها بدأ يمارس مهامه في منصبه الجديد.

ترتّب على إعلان هذه الإمامة الفتيّة نتائج هامّة، على المستويين المحلّي والإسلامي، على النحو التالي:

- **على المستوى المحلّي:** ظلّ العنصر القبلي محتفظا بوجوده على مسرح الأحداث، رغم التأثير الكبير الذي أصبحت العقيدة الإباضية تشكّله بين أهل عمان[3]، كما كانت الإدارة الجديدة ملتزمة بالطابع الإباضي المعتمد بدوره على الطابع الإسلامي[4]، إذ أنّهم واجهوا القبلية بشدّة وقوّة منذ البداية، وهذا بقتلهم لأقرباء الإمام الذين رفضوا مبايعته[5].

1) عبد الله بن حميد السالمي: **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، تع: إبراهيم أطفيش، ط2، مطبعة الشباب، القاهرة، 1250هـ، ج1، ص88. سالم بن حمد الحارثي: **العقود الفضية في أصول الإباضية**، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 2017، ص253.

2) هو الجلندي بن مسعود بن جيفر بن الجلندي بن المستكبر بن مسعود بن عبد الله بن معولة بن شمس. انظر، العوتبي: **الأنساب**، ج2، ص225.

3) محمد قرقش: المرجع السابق، ص210.

4) السالمي: **تحفة الأعيان**، ج1، ص 89 فما بعدها.

5) محمد قرقش: المرجع السابق، ص210.

كما أنّ هؤلاء العلماء أصبحوا يسيطرون على جهاز الدولة الجديد من الناحية الإدارية والسياسية، فأصبح منهم المحتسب، والوالي، والقاضي، وتمكّنوا من صبغ الحياة في عمان بصبغة إسلامية قويّة[1].

- **على المستوى الإسلامي:** ثبتت مرونة التنظيم الإباضي وقوّته ومقدرته على التكيّف مع الأمور في كلّ المناطق والأحوال، إذ لم تؤثّر فاجعة سقوط الإمامة في اليمن وحضرموت على الحركة، بل أصدرت قيادة الإباضية الموجودة في البصرة أوامرها في نفس العام إلى إقامة إمامة أخرى في منطقة ثانية وهي عمان[2].

كما تبيّن للعباسيين مثلما تبيّن للأمويين من قبل مدى صعوبة إخضاع عمان وضمّها للسلطة المركزية، خاصة بعد تغلغل الأفكار الإباضية بين سكّانها منذ أمد بعيد[3].

- **التنظيمات الاجتماعية والسياسية والعسكرية للإمامة:** كان إعلان هذه الإمامة سنة 132هـ، بداية لمرحلة جديدة في تاريخ عمان، إذ عملت على إنشاء تنظيمات تتّسم بالالتزام بالطابع الإسلامي في كل الأمور.

وأمّا هذه التقسيمات الإدارية، فكانت كما يلي:

أوّلا: الهيئة الاستشارية العليا للإمام: كان يمثّلها حملة العلم وأئمّة الدعوة، كعبد الله بن القاسم، وهلال بن عطيّة العماني، وشبيب بن عطية العماني، ومنير بن النير الجعلاني[1]، وغيرهم.

1) السالمي: المصدر السابق، ج1، 93.
2) قرقش: المرجع السابق، ص211.
3) نفس المرجع والصفحة.

ثانيا: الهيئة التنفيذية: يكون على رأسها الإمام، وهو المكلّف بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر جهرا، والمقيم لحدود الله، كما أنّ إمامة الظهور هي الأصل المأمور بها، والذي يجب أن يكون عليها المسلمون[2]. وكان يساعد الإمام وزيره الأكبر هلال بن عطية الخراساني.

ثالثا: شؤون الولايات والمناطق: قسّم الإمام دولته إلى ولايات، وجعل على كل منطقة أو مدينة واليا لها، فكان صالح الوضّاح واليا على مدينة إبراء[3]، كما استعمل القضاة وجُباة الصدقات، مثل موسى بن أبي جابر الأزكوي، والحسن بن عقبة، وجعفر بن بشير، وأصبح شبيب بن عطية في وظيفة المحتسب للإمامة[4].

وأمّا التنظيمات الاجتماعية:

أوّلا: حرص الإمام على تكوين مجتمع إسلامي متكامل، ملتزم بالدين الإسلامي، فأمر النساء بالتزام اللباس الساتر بعيدا عن الزينة والسفور[5]. كما نهاهنّ عن الجلوس في الطرقات، والخروج أيّام المطر أو الرّيح[6]، وأمر الرّجال بتقصير شعورهم وملابسهم.

---

1) العوتبي: **الأنساب**، ج2، ص225.
2) بكير أعوشت: **دراسات إسلامية**، ص111.
3) تعدّ إحدى مدن المنطقة الشرقية لعمان حاليا.
4) السالمي: **التحفة**، ج1، ص91.
5) أعوشت: المرجع السابق، ص 111.
6) محمد قرقش: المرجع السابق، ص215.

ثانيا: طهّر الإمام عمّاله من الرشوة والبغي[1].

❖ السياسة العسكرية لدى إمامة عمان:

ارتبطت السياسة العسكرية للإمامة الإباضية بعمان بالأوضاع السياسية، كما أنّ الأوضاع العسكرية أضفي عليها طابع عقائدي، وذلك من خلال تنظيم الشراة الذين جُنِّدوا تحت شعار الجهاد في سبيل الله[2].

يُعتبَر الإمام الجلندي أوّل من اتخذ الشّراة للدفاع عن إمامته. ويبدو أنّ التنظيمات القتالية في زمنه- **زمن الإمامة الإباضية الأولى بعُمان**- قد اقتصرت على القوات البرية فقط، فلم يمهله الوقت للإعداد لقوة بحرية لحماية سواحل البلاد الطويلة، وقد لاحظنا ذلك من خلال رفض الإدارة جباية صدقة البحر، إلاّ ما طابت به أنفس النّاس أن يدفعوه إلى الإمام، لأنّهم لم يتمكّنوا من توفير الحماية العسكرية للسواحل والبحر[3].

ويبدو من الروايات أنّ التقسيمات والتشكيلات القتالية كانت كما يلي:

- الإمام: وهو أمير الجيش وقائده الأعلى.
- تقسيم القوات إلى كتائب، جعل كل كتيبة في مائتين أو ثلاثمائة أو أربعمائة، وجعل على كل كتيبة قائدا من أهل الثقة والعلم والمعرفة، والحزم والقوة[4].

1) السالمي: المرجع السابق، ج1، ص91.
2) عبد الله أمبوسعيدي: **الإباضية في عمان**، ص165.
3) السيابي: المرجع السابق، ص58.
4) مهدي هاشم : المرجع السابق، ص173.

- تقسيم الكتائب إلى فصائل أو سرايا من عشرة أفراد من الشراة، على كل سريّة مؤدِّب من أهل الفقه، يعلّمهم الفقه والدين، ويؤدّبهم بالمعروف[1].
- كانت إقامة التشكيلات في معسكرات خاصة، بعيدة عن المدن، بدليل أنّ أنفس بعض الجنود تاقت إلى النساء والشهوات، وقد أبيح لهم الزواج كلٌّ حسب مقدرته[2].
- لم تذكر المصادر المختلفة أسلحة لجيش الشراة غير الأسلحة التقليدية، وهي السيف والسهم والرّمح[3].
- كانت الرّوح القتالية لدى الجنود عالية، فهم قد باعوا الدنيا واشتروها بالآخرة[4].
- كانت رواتب الجند والمقاتلين قليلة جدّا بالنسبة لمستوى المعيشة المرتفع في زمانهم، فكان المرء منهم يُرزَق في الشهر بسبعة دراهم، وفي عِزِّ غلاء الأسعار، فيصبر على القوت اليسير، بل ربّما بقي مع الرجل منهم الدّرهم والدرهمان فيردّها في فيء المسلمين[5].

أمّا في **عهد الإمامة الإباضية الثانية** (177- 280هـ/ 793-893م)، فقد كانت السياسة العسكرية لدى الإباضيين أكثر وضوحا وتنظيما، فبعد أن كانت قواتهم تقتصر على القوات البرّية، أُضيف لها قطاع على قدر كبير من الأهمّية، وهو الأسطول البحري.

1) السالمي، المرجع السابق، ج1، ص91.
2) نفس المرجع والصفحة.
3) محمد قرقش: المرجع السابق، ص 215.
4) نفس المرجع والصفحة.
5) أعوشت: المرجع السابق، ص111.

أ- **الجيش البرّي:** من منطلق الآية الكريمة، قال تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ))[1]، والتي يأمر فيها الله عزّ وجلّ المؤمنين بإعداد العدّة لقتال أعدائه وأعداء المؤمنين، وذلك باقتناء السلاح الذي هو رمز القوّة للدولة، وبدونه لا تستطيع الأمّة الدّفاع عن نفسها، ولا الوقوف في وجه أعدائها، بل ولن يكون بمقدورها حفظ الأمن وضمان الاستقرار الداخلي[2].

اقترنت الأوضاع العسكرية في عصر الإمامة الإباضية الثانية بفكرة الجهاد، وهو فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، والإباضية يعظّمون الجهاد في سبيل الله، ويعتبرونه فرضا على المسلم، للدفاع عن عقيدة الإسلام ونشرها، وحماية بلاد المسلمين ومن عليها[3].

كانت الإمامة الإباضية تعتمد على قوة عسكرية مشكَّلة من "الشّراة "[4]، الذين هم عماد الجيش البرّي للإمامة الإباضية الثانية، وعليهم المعول في مقارعة الأعداء، وقد حدّد الشقصي عشر خصال لمن أراد أن يكون شاريا غازيا، مجاهدا حقّا في سبيل الله، وهي: " لا يغدو إلا بإذن والديه ورضاهما، ويؤدّي ما افترض الله عليه: من صلاة وزكاة وحجّ وغير ذلك من جميع المفترضات، ويدْعُ لأهله وفاء إلى قدر

1) سورة الأنفال، الآية 60.

2) أمبوسعيدي: المرجع السابق، ص165

3) نفس المرجع، ص166.

4) الشراة جمع شارٍ، هم الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله، وابتغاء مرضاته، امتثالا لقوله تعالى:((ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله)). البقرة، الآية 207.

رجوعه، وتكون نفقته من حلال، ويسمع ويطيع للأمير العادل، ويؤدّي إلى كلِّ ذي حقّ حقّه من رقيق وغيره، ولا يدخل دار سلم إلاّ بإذن أميره، وأنّه لا يفرّ من الزحف، فإنّه من الكبائر، ولا يغْلُ من الغنيمة قليلا ولا كثيرا، وأن يريد بجهاده إعزاز الدّين وإقامة الطّاعة ونصر المؤمنين "[1].

ووفق تلك الصفات والشروط التي يجب أن يتّصف به الشراة الإباضية، قام الأئمّة الإباضية بتنظيمهم، فجعلوهم كتائب، وجعلوا لهم مراتب ورايات[2]، وبعض الكتائب تتكوّن من مائتي رجل، وبعضها من ثلاثمائة إلى أربعمائة رجل، ثمّ جعلوا على كل كتيبة قائدا من أهل الفضل، والبصيرة، والثقة، والمعرفة، والحزم، والقوة[3]، وهذا أمر وجب العمل به في الفكر العسكري الإسلامي.

كما جعل لكلّ عشرة رجال من الشراة مؤدّب من أهل الفقه، يعلّمهم الدّين، ويؤدّبهم على المعروف، ويسدّدهم عن الزيغ، ويقيمهم على الطريقة، ويهديهم سبيل الرّشاد[4].

ومن حقّ هؤلاء الشراة على إمامهم أن يفرض لهم دواوينهم، وأن يوفي لهم حقّ عنائهم وعملهم من بيت مال المسلمين[1].

---

1) خميس بن سعيد الشقصي: **منهج الطالبين وبلاغ الرّاغبين**، تح: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، د.تا، ج8، ص94.

2) السيابي: **عمان عبر التاريخ**، ج1، ص237.

3) أمبوسعيدي: المرجع السابق، ص172.

4) السالمي: **تحفة الأعيان**، ج1، ص61.

ومن مبادئ الإباضية عند الحرب، أنّهم لا يبدؤون بقتال من خرج عليهم أو خرجوا عليه من أهل القبلة إلاّ بعد الدّعوة والإعذار والإنذار[2].

ممّا سبق، يتبيّن لنا أنّ هذا التنظيم لجيش الإباضية، انسجم مع الرّوح الإسلامية التي يجب أن يتّصف بها المجاهدون في سبيل الله، كما يؤكّد وجود قوة عسكرية للإمامة الإباضية الثانية، استطاعت بواسطتها إخماد الحركات القبلية المعارضة لها، كحركات ابن الجلندي وبني هناءة، وقبائل المهرة على الصعيد الداخلي، إضافة إلى صدّ الهجمات الخارجية، ففي عهد الإمام الوارث بن كعب، وقف جيشُه في وجه الحملة العبّاسية وأنزل الهزيمة بها، ممّا أدّى إلى مقتل قائدها عيسى بن جعفر[3].

ب- الأسطول البحري: اشتهرت عمان منذ وقت مبكّر بصناعة السفن، وازدهرت بشكل كبير أثناء الحملات البحرية التي وجّهتها الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الرّاشدين إلى بلاد فارس عبر الخليج العربي، وقد شارك فيها العمانيون ضدّ الفرس[4].

فالأسطول العماني كان قائما منذ القدم، غير أنّ الظروف السياسية والعسكرية التي مرّت بها عمان، أضعفته، لكن بعد قيام الإمامة الإباضية العمانية الثانية سنة

---

1) محمد بن إبراهيم الكندي: **بيان الشرع**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1984، ج28، ص189.

2) الشقصي: المصدر السابق، ج8، ص96.

3) أمبوسعيدي: المرجع السابق، ص175.

4) سلمة بن مسلم العوتبي: **الأنساب**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط3، 1992، ج2، ص124.

177هـ/ 793م، انتعش من جديد، وشهد تطورا لافتا، نتيجة اهتمام الأئمة به، نظرا لعدّة معطيات، منها: الموقع الاستراتيجي الذي تتمتّع به عمان، تعرّض تجارة العمانيين لعدوان القراصنة، وهذا ما اضطرّهم إلى بذل جهودهم لتطوير الأسطول وتقويته، وتزويده بالوسائل الدفاعية المناسبة، لمواجهة الأخطار الخارجية، ولإخماد الفتن الداخلية التي لا يمكن إخمادها بواسطة الجيش البرّي[1].

وفي عهد الإمام غسّان بن عبد الله اليحمدي(192-207هـ/ 807-822م) شهد الأسطول العماني تطوّرا ملحوظا، وسبب ذلك ما شهدته السواحل العمانية من هجمات السفن الهندية، ما جعل الإمام يتّخذ أسطولا لغزوهم، فكفى الله العمانيين شرّها[2].

وبذلك تمكّن الإمام غسّان من القضاء على القراصنة، بفضل التطوير الذي أحدثه على الأسطول، فساد الأمن والاستقرار على السواحل العمانية، ونشطت التجارة في عهده[3].

تابع أئمّة الإباضية جهود الإمام غسّان في تطوير الأسطول البحري العماني، ففي عهد الإمام المهنّا بن جيفر (226-237هـ/ 840-851م) بلغ الأسطول درجة

1) أمبوسعيدي: المرجع السابق، ص176.

2) في هذا الصدد يقول السالمي في روايته: " وفي عهد الإمام غسّان بن عبد الله كانت البوارج وهم كفّار الهند يقعدون بأطراف عمان، ويسلبون منها، ويسْبُون ويمضون إلى ناحية فارس والعراق، فاتخذ الإمام غسّان لذلك الشذاة للغزو، وهو أوّل من اتخذها بعمان، وغزا بها البوارج من هذه الشطوط، وأمن الله النّاس من البوارج بهذه الشذاوات ". السّالمي: **تحفة الأعيان**، ج1، ص82.

3) أمبوسعيدي: المرجع السّابق، ص177.

كبيرة من القوة والاستعداد لمواجهة الأخطار المحتملة على عمان، إذ اجتمع له أسطول ضخم يتكوّن من ثلاثمائة مركب مهيّئ لحرب العدوّ[1].

كما بلغت قوة أسطول عمان في عهد الإمام الصّلت بن مالك (237-272هـ/ 851-885م) ما تعداده أكثر من ألف قطعة بحرية[2].

يبدو أنّ موقع عمان الاستراتيجي حتّم على أهلها بناء قوة بحرية لحماية سواحلها ومجابهة الأعداء الطامعين فيها.

من خلال ما رأيناه في هذا المبحث المتعلّق بالإمامة الإباضية في عمان، وبسياساتها العسكرية في البرّ أو في البحر، فإنّنا نلحظ أنه كان لهم اهتمام بالجانب الأمني والدّفاعي، خاصة في عهد الإمامة الثانية (177-280هـ/ 793-893م)، وهذا ما كفل لهم الحفاظ على إمامتهم لمدة زمنية تجاوزت القرن، رغم الأخطار التي كانت تهدّدها وتحيط بها من كلّ جانب.

فماذا عن الإمامة التي تأسست بجوارهم، إمامة اليمن وحضرموت، هل كان لها نفس الاهتمام بالسياسة العسكرية؟ هذا ما سنتناوله في المبحث الموالي.

1) السالمي: المرجع السابق، ج1، ص101.

2) أمبوسعيدي: المرجع السابق، ص179.

المبحث الثالث: الإمامة الإباضية في اليمن وحضرموت ومنطلقاتها في السياسة العسكرية

1- الجذور التاريخية لانتشار الدعوة الإباضية في حضرموت واليمن:

انتشار الدعوة الإباضية في اليمن وحضرموت يكتنفه الغموض، إذ لا تشير المصادر إلى الطريقة التي انتشرت بها هناك، مقارنة بانتشارها في عمان والمغرب، غير أنّ بعض المعلومات تشير إلى الصلات الوثيقة بين الدعوة في البصرة وحضرموت[1]، وقد اشتهر من هؤلاء الدعاة أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي، أحد طلاب أبي عبيدة مسلم، والذي اشترك في ثورة اليمن سنة 129هـ/ 746م[2]، وذكر وائل الحضرمي دعاة في حضرموت كانوا قبله من ذوي القدرات العلمية والإدارية[3]، ومنه يمكننا القول أنّ تسرّب الدعوة الإباضية إلى اليمن وحضرموت يعود إلى تاريخ سبق إعلان الإمامة سنة 129هـ بسنوات طويلة[4].

2- الإعداد للثورة على الأمويين:

في سنة 128هـ/745م، تمّ اللقاء بين أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي، وعبد الله بن يحي الكندي الملقّب بـ طالب الحقّ، وفي هذا الصدد يورد لنا الطبري رواية مفادها، أنّ عبد الله الكندي تعرّف على المذهب الإباضي لأول مرّة في لقاء

---

1) مهدي طالب هاشم: **الحركة الإباضية**، ص89.

2) أبو العبّاس الدرجيني: **طبقات المشايخ**، ج1، ص104.

3) الشماخي: **كتاب السير**، ص105.

4) هاشم: المرجع السابق، ص90.

مفاجئ مع أبي حمزة الشّاري[1]، الذي كان يدعو إلى مخالفة مروان بن محمّد[2] أواخر سنة 128هـ، فلمّا سمع عبد الله الكندي دعوة أبي حمزة أُعجب بها، وعرض عليه أن يذهب معه إلى حضرموت ليدعو هناك، وسيستجيب له كثير من أهلها على أساس أنّ عبد الله الكندي رجل مطاع في قومه، فلمّا وصلا إلى حضرموت بايع أبو حمزة عبد الله الكندي إماما للإباضية[3].

لا يمكن التسليم بهذه الرواية، نظرا لعدّة اعتبارات، فهي تضع أبا حمزة الزعيم الأول للحركة، وأنّه قام بعملية اختيار الإمام الذي سيدافع عن المذهب الإباضي في اليمن، وهذا فيه تعظيم لدور أبي حمزة، وتقزيم لدور الإمام أبي عبيدة المخطِّط للدعوة من البصرة، كما أنّ هذه الرواية تجعل لقاءهما مفاجئا، وهذا مُنافٍ مع التخطيط الطويل من مركز الدّعوة في البصرة، لاختيار المكان والزمان المناسبين لنشر الدعوة وتفجير الثورة، ولتحديد الشخصية التي ستحمل على عاتقها مسؤولية الإمامة[4].

وعليه فإنّ الاحتمال الأقرب إلى الصحّة أنّ عبد الله الكندي كان مع اتصال بالدعوة في البصرة، حينما كان قاضيا لإبراهيم بن جبلة –عامل القويسم على

---

1) هو أبو حمزة المختار بن عوف بن عبد الله السّلمي الأزدي العماني، (ت: 130هـ)، يعدّ من أعلام تابعي التابعين، انتقل إلى البصرة فأخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم، انظر: **معجم أعلام الإباضية**، ج4، ص856.

2) هو مروان بن محمّد بن مروان، المعروف بالجعدي (ت:132هـ)، آخر ملوك بني أميّة. انظر: الزركلي: **الأعلام**، ج7، ص208.

3) الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**، ج4، ص302، ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص357.

4) مهدي هاشم: المرجع السابق، ص91.

حضرموت[1]–، بدليل أنّه حينما رأى باليمن " جورا ظاهرا وعسَفا شديدا، وسيرة في النّاس قبيحة "[2]، فقال لأصحابه: ما يحلّ لنا المقام على ما نرى، ولا يسعنا الصبر عليه[3]، وعليه بدأ يفكّر في الخروج على حكّام زمانه، فكاتب في ذلك أبا عبيدة مسلم في البصرة، وأجابه بالقبول، فقال له: " إن استطعت ألاّ تقيم يوما واحدا فافعل، فإنّ المبادرة بالعمل الصّالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك، ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويختصّ بالشهادة منهم من يشاء"[4].

كان حاجب الطّائي[5] وسيطا بين إباضية اليمن ومركز الدّعوة في البصرة، وقد سعى جاهدا لجمع الأموال " فكتب على كلّ موسر من المسلمين قدر ما يرى، فما امتنع عليه أحد "[6]، وبعد أن تحصّل على مبالغ كافية اشترى بها سلاحا لمساعدة جيش الثوّار في اليمن ضدّ بني أمية، وما تبقّى من الأموال سلّمه إلى القائدين أبي

1) ابن ادريسو: **الفكر العقدي**، ص 107.

2) أبو الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، تح: علي السباعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.تا، ج23، ص223.

3) ماجد بن محمد الكندي: **صفحات مشرقة من تاريخ المذهب الإباضي**، ط3، 2013، ص70.

4) الأصفهاني: نفس المصدر والصفحة.

5) هو حاجب الطائي أبو مودود، (حي بين: 100– 150هـ)، أصله من عمان، تلقّى العلم عن أبي عبيدة، انظر: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص238.

6) الدرجيني: **طبقات**، ج2، ص262.

حمزة المختار وبلج بن عقبة[1]، المتوجّهين إلى حضرموت رفقة مجموعة من الجند لنصرة عبد الله الكندي[2].

3- إعلان إمامة الظهور باليمن:

هناك أسباب أسهمت في إعلان الإباضية الثورة ضد الأمويين في اليمن، لعلّ أبرزها:

- تدهور أوضاع اليمنيين على كافة الأصعدة، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ إذ خضعت بلادهم بصورة متتابعة للولاة الثقفيين منذ عهد عبد الملك بن مروان (65-86هـ)، وإلى آخر خليفة وهو مروان بن محمّد، وهذا ما أثار حفيظة أهل اليمن وعجّل بثورتهم[3].
- إرهاق اليمنيين بالضرائب غير المشروعة، والتي تزامنت مع كثير من الظلم والتعسّف، وروح الاستعلاء البغيض المبني على أساس التعصّب القبلي، المُخالف لروح الشريعة الإسلامية التي جعلت الإخاء أساسا، والتقوى هو معيار التفاضل لا غير[4].

---

[1]) هو بلج بن عقبة بن الهيصم الأسدي (حي في 130هـ)، عماني الأصل اشتهر بالشجاعة والبطولة. انظر: **معجم أعلام الإباضية**، ج1، ص54.

[2]) عوض خليفات: **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، ص49.

[3]) مهدي طالب: المرجع السابق، ص93.

[4]) نفس المرجع والصفحة.

- تردّي الأوضاع السياسية للدولة الأموية في أخريات أيّامها، وما زاد الأمر تعقيدا معاناتها من الثورات الداخلية والخارجية، وكانت خاتمة تلك الثورات الثورة العبّاسية التي عاصرت الثورة الإباضية باليمن سنة 129هـ[1].
- الوجود الإباضي في اليمن منذ القرن الأول الهجري، ما جعل المهمّة سهلة لإعلان الثورة؛ إذ كانت اليمن تزخر بأعداد معتبرة من الإباضية، وكثير منهم بلغ درجة كبيرة من العلم والتقوى والورع، ولهم استعداد للوقوف مع هذه الإمامة الفتية ومساندتها[2].
- بعدُ اليمن عن مركز الخلافة في الشام، يُصعِّب وصول الإمدادات والتعزيزات الأمنية إليها بسرعة، وهذا ماشجّع الشراة لإعلان الثورة[3].

كل هذه الأسباب شجّعت الإمام عبد الله بن يحي طالب الحقّ لمراسلة إمامه في البصرة أبي عبيدة مسلم، مستأذنا إياه في الخروج، ويخبره بالظلم الذي حلّ بالنّاس على أيدي الولاّة[4]، وسرعان ما جاءه إذن إمامه من البصرة حاثّا إياه بالإسراع والمبادرة في ذلك[5]، بقوله: " إن استطهت ألّا تقيم يوما واحدا فافعل، فإنّ المبادرة

---

[1]) محمد ناصر: المرجع السابق، ص126.

[2]) محمد بن سالم الخوالدي: **الإمام طالب الحقّ ومنهجه الدّعوي**، بحث تخرّج من معهد العلوم الشرعية، سلطنة عمان، 2009، ص34.

[3]) نفس المرجع والصفحة.

[4]) عوض خليفات: **نشأة الحركة**، ص119.

[5]) محمد ناصر: المرجع السابق، ص141.

بالعمل الصالح أفضل، ولا تدري متى يأتي أجلك، ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويخصّهم بالشهادة إكراما لهم بها "[1].

لم يكتف أهل الدّعوة بهذه الرسالة التحريضية، بل أرسلوا إليه النجدة المالية والعسكرية، وأوفدوا القائد الشهير أبا حمزة المختار بن عوف، وبلْج بن عقبة مع مجموعة من الجند، وحملوا معهم توصيات مشدّدة من أبي عبيدة بالسيرة الحسنة والسلوك الطيّب مع أعدائهم، حتى إن انتصروا عليهم[2]. وممّا جاء فيها: " إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تعتدوا ولا تغدروا، واقتدوا بأسلافكم الصالحين، واستنّوا بسنّتهم، فقد علمتم إنّما أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم "[3].

ما إن وصل إذْنُ أبي عبيدة من البصرة، وما صاحبه من مدد معنوي ومادي وعسكري، حتى اجتمع طالب الحقّ بأصحابه وأهل الرّأي من الإباضية فأطلعهم على الأمر، وبعد التشاور بايعوه إماما لهم، فيكونوا بذلك قد أعلنوا أوّل إمامة ظهور للإباضية في تاريخهم، وذلك سنة 129هـ، إمامُها أبو يحي عبد الله بن يحي طالب الحقّ[4].

---

[1]) البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص285.

[2]) محمد ناصر: نفس المرجع والصفحة.

[3]) البلاذري: نفس المصدر والصفحة.

[4]) محمد ناصر: المرجع السابق، ص141.

❖ السياسة العسكرية للإمامة الإباضية في اليمن:

لم تعمّر هذه الإمامة طويلا، فما كادت تُعلن عن قيامها وتأسيسها سنة 129هـ، حتّى داهمتها الأخطار، قبل أن يشتدّ عودها وتسقرّ أحوالها، وهذا ما عجّل بانهيارها نهائيا في حدود سنة 132هـ/ 749م[1]، وسنحاول تتبّع مسارها، ومسار أهمّ المعارك التي خاضتها ضدّ السلطة الأموية، ومن خلال ذلك سنسعى إلى رسم صورة عامّة عن سياساتها العسكرية التي انتهجتها للتمكين لنفسها، وللوقوف أمام أعدائها.

- **دخول حضرموت:** تمكّن طالب الحقّ من ذلك، واستطاع أن يفتحها دون قتال يُذكر، وقبض على واليها إبراهيم بن جبلة[2] وسجنه، ثمّ ما لبث أن أطلق سراحه وتركه يلحق بسيده القاسم بن عمر الثقفي (ت: 130هـ) بصنعاء[3]. هنا تظهر سياسة من سياسات الإباضية في التعامل مع الخصوم، حتى بعد الانتصار عليهم، وهي التسامح.

استطاع طالب الحقّ بسيرته الحسنة التي أعجب بها الأهالي أن يجمع الأنصار والأتباع حوله؛ إذ أنّه أذاقهم حلاوة العدل، بعد أن حُرموا منه في ظلّ جور الأمويّين.

---

[1]) نفس المرجع، ص164.

[2]) هو إبراهيم بن جبلة بن عرمة الكندي، كان من أصحاب عبد الملك بن مروان، وهو الذي حبسه الإمام طالب الحقّ بع أن انتصر في حضرموت، ثمّ في صنعاء. انظر: البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج9، ص286.

[3]) محمد ناصر: المرجع السابق، ص142.

• **الانتصار في صنعاء:** بعد أن اطمأنّ الإمام طالب الحقّ من السيطرة على حضرموت، بدأ يتطلّع هو وأصحابه إلى مواصلة الجهاد، فتوجّه بنظره إلى صنعاء، وكتب إلى من كان من أصحابه هناك بقدومه، وقد استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي، وكان ذلك سنة 129هـ[1].

لمّا بلغ القاسم بن عمر الثقفي –عامل مروان بن محمد على صنعاء– مسير طالب الحقّ وجيشه خرج يريد قتالهم بعد أن أعدّ جيشا ضخما، وصفه البلاذري بأنّه " كان ذا عدد كبير وعُدّة ظاهرة "[2]. سطّر الإمام الإباضي **خطة عسكرية لجيشه؛** إذ وضع على الميمنة يحي بن حرب والمهاجرين الذين انضمّوا إلى إباضية حضرموت، وعلى الميسرة بلْج بن عقبة يعاونه أبرهة بن الصباح الحميري، بينما كان الإمام في قلب الجيش[3].

انتهت هذه المعركة بانتصار الإباضية، وانهزم الثقفي وجيشه شرّ هزيمة، وفرّ إلى صنعاء واحتمى بها، وكانت له بها هزيمة أشدّ، ثمّ فرّ بعدها إلى الشام مع ما بقي له من جنده، وهكذا استولى طالب الحقّ على المدينة، وقد كانوا مثالا للمعاملة الحسنة، فلم يتعرّضوا لأحد بأذى، عملا بوصايا إمامهم أبي عبيدة " إذا خرجتم فلا

[1]) محمد الخوالدي: المرجع السابق، ص37.

[2]) البلاذري: المصدر السابق، ج9، ص272.

[3]) فرحات الجعبيري: **أبو حمزة الشاري**، حياة من أجل الحقّ، المطابع الذهبية، سلطنة عمان، د.تا، ص85.

تغلوا ولا تغدروا، واقتفوا بسلفكم الصّالح ..."[1]، ويؤكّد كلّ الرواة اعتدال ابن يحي وأصحابه وحسن سيرتهم وعدلهم في المناطق التي سيطروا عليها[2].

بعد دخول الإمام طالب الحقّ مدينة صنعاء، ألقى على سكانها خطبة شهيرة[3]، دعاهم فيها إلى اتباع تعاليم الإسلام الأساسية[4]، وقد صنّف جميعَ السكّان الذين تولّى أمرهم إلى ثلاث مجموعات:

– مجموعة قبلت المذهب الإباضي وشرائعه، وانضمت إلى جيشه، وقد وعدها بالمساواة الكاملة في الحقوق والواجبات تماما كأنصاره.

– مجموعة قبلت مبادئ المذهب الإباضي، ولكنّها لم ترغب في المشاركة في الثورة، وقد دعاها إلى نشر المذهب والدّعاية له.

– مجموعة رفضت قبول المذهب، ولكنّها وقفت موقف المحايد، وقد وعدها بحماية أرواحها وأموالها[5].

• **انتقال الإباضية إلى الحجاز:** لم يكن هدف أهل الدّعوة من إعلان إمامتهم باليمن أن تبقى دعوتهم هناك، بل كانوا يسعون لأن تشمل كافة العالم الإسلامي، للإطاحة بالفساد الذي استشرى في ظل الحكم الأموي المتسلّط[6]، ففي موسم الحجّ من عام 129هـ، بعث طالب الحقّ قائده أبا حمزة الشاري بمرافقة بلْج بن عقبة

---

[1] البلاذري: المصدر السابق، ج9، ص286.

[2]) لطيفة البكاي:**حركة الخوارج نشأتها وتطورها**، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2001، ص275.

[3]) انفرد الأصفهاني بنقل هذه الخطبة. انظر، الأصفهاني: **الأغاني**، ج23، ص184.

[4]) محمد ناصر: المرجع السابق، ص143.

[5]) الخوالدي: المرجع السابق، ص41.

[6]) نفس المرجع، ص147.

وأبرهة بن الصباح الحميري على رأس قوة عسكرية إلى مكة للاستيلاء عليها[1]، ويدلّ اختيار هذا التوقيت على رغبة قادة الثورة استغلال الظروف الصعبة التي يمرّ بها الحكم الأموي من جهة، والاستفادة من موسم الحجّ من جهة أخرى[2].

وصل الجيش الإباضي إلى مكّة في الثامن من ذي الحجة سنة 129هـ/746م، بقيادة أبي حمزة، والمقدَّر عددهم ما بين سبعمائة إلى ألف ومائة[3]، وانضمّ إليه إباضية الحجاز بزعامة الفقيه والدّاعية الإباضي أبي الحرّ علي بن الحصين، وبتعداد يقدّر بأربعمائة رجل[4].

فوجئ العامل الأموي في الحجاز عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك[5] لمّا رأى رأى الجيش الإباضي في عرفات وأبو حمزة يخطُب[6]، فلم يبق أمامه إلا التفاوض معهم، لأنّه لم يكن مستعدّا من الناحية العسكرية، فعُقدت هدنة بين الطرفين، على أن يعتزل عبد الواحد عقب أداء الناس المناسك مباشرة[7]، وفعلا غادر مكّة إلى

---

[1]) عوض خليفات، **نشأة الحركة**، ص122.

[2]) لطيفة البكاي، المرجع السابق، ص276.

[3]) محمد ناصر: المرجع السابق، ص148، نقلا عن الأصفهاني: **الأغاني**، ج23،ص115.

[4]) نفس المرجع والصفحة.

[5]) عبد الواحد بن بن سليمان بن عبد الملك بن مروان (ت: 132هـ)، ولي إمرة مكّة والمدينة سنة 129هـ، في عهد مروان بن محمد. انظر، الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص175.

[6]) الدرجيني: **طبقات المشايخ**، ج2، ص264.

[7]) ابن خلدون: المرجع السابقن ج3، ص357.

المدينة، فدخلها أبو حمزة وأتباعه دون قتال[1]، ثمّ سار إلى الطائف واستولى عليها دون مقاومة تُذكَر[2].

بعد استيلاء أبي حمزة على مكّة، توجّه إلى المدينة سنة 129هـ، والتقى مع الجيش الأموي في معركة قُدَيد[3] في صفر من عام 130هـ، وقد حاول أبو حمزة قبل قبل نشوب القتال إقناع أهل المدينة بالعدول عن محاربته، مؤكدا لهم بأنّه لا يريد قتالهم، ولا يطلب منهم سوى السماح له ولأتباعه بالسير إلى مروان بن محمد الذي ظلمهم وجار في الحكم عليهم، واستأثر بالفيء[4]، لكنّهم رفضوا طلبه، وشتموه هو وأتباعه، وقد بدؤوه بالقتال، ممّا اضطر أبا حمزة للردّ عليهم، فنشب القتال بينهم، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش الأموي وأهل المدينة بعد أن فقدوا كثيرا من رجالهم[5]. رجالهم[5]. ثمّ دخل أبو حمزة المدينة بغير حرب، ودخل السّكان في طاعتهم وكفّوا عنهم[6]. وقد خطب فيهم خطبة بليغة في منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[7].

- **معركة وادي القُرى وبداية تراجع الإباضية:** وصلت أنباء معركة قديد ودخول الإباضية المدينة المنوّرة إلى أسماع الخليفة مروان الثاني، فقرّر أن يضع حدّا لانتصارات الإباضية، بإنفاذ جيش شامي لقتالهم، فجمع أربعة آلاف من أشجع

---

[1]) ابن ادريسو: **الفكر العقدي**، ص113.

[2]) بكير أعوشت: **حركة أهل الدعوة والاستقامة في مكة والمدينة**، المطبع العربية، غرداية، 1992، 60.

[3]) قُدَيد: تصغير القدّ، اسم موضع قرب مكّة. انظر، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص313.

[4]) لطيفة البكاي: المرجع السابق، ص277.

[5]) البلاذري: **أنساب**، ج2، ص378.

[6]) الأصفهاني: المصدر السابق، ج23، ص125.

[7]) انظر قسم الملاحق من هذا البحث.

رجاله، وأعطى لكل منهم فرسا وبغلا لحمل ثقله ومائة دينار زيادة على عطائه[1]، وجعل على رأسهم عبد الملك بن محمد بن عطية السّعدي[2]، ولمّا علم الإباضية بذلك أرسل أبو حمزة قائده بلْج بن عقبة لملاقاة الشاميين، في جيش لا يزيد عدده على ستمائة رجل لقتال الجيش الأموي، وتمّ اللقاء في وادي القُرى في جمادى الأولى من سنة 130هـ[3]، وهُزِم الإباضية، وقُتِل منهم عدد كبير منهم القائد بلْج بن عقبة، ويُعدّ هذا أول انهزام لجيش هذه الإمامة الإباضية في ساحة القتال[4].

- **الانهزام في مكّة:** وجد أبو حمزة أن لا قِبَل له بمواجهة الجيش الشامي بعد هذه الهزيمة التي أصابت جنده، فقرّر ترك المدينة والعودة إلى مكّة[5]، وبينما كان طالب الحقّ في الطريق إلى مكّة، أسرع عبد الملك بن عطيّة بجيشه إلى أبي حمزة قبل أن تصل إليه إمدادات أهل اليمن، فاقتتل الجيشان، وألحق بن عطيّة بالجيش الإباضي خسائر كبيرة، ذهب ضحيّتها أبو حمزة الشاري رفقة زوجته، إضافة إلى القائدين أبرهة بن الصباح الحميري وعليّ بن الحصين[6]، فكان ذلك إيذانا بانحسار

---

[1]) عوض خليفات: **نشأة الحركة**، ص123.

[2]) عبد الملك بن محمد بن عطية السّعدي (ت:130هـ) قائد لبني أمية. انظر، الزركلي: **الأعلام**، ج4، ص162.

[3]) محمد ناصر: المرجع السابق، ص159.

[4]) أعوشت: المرجع السابق، ص62.

[5]) الخوالدي: المرجع السابق، ص 46.

[6]) بعدما قُتل أبو حمزة، صُلب مع علي بن الحصين، وأبرهة بن الصباح على شِعَب الخيف لمدة سنتين كاملتين، ولم تنزل بقايا هياكلهم حتى مجيء الدولة العباسية. انظر البلاذري: **أنساب**، ج3، ص242.

إمامة الإباضية من الحجاز، بعد حكم دام سبعة أشهر، من ذي الحجة سنة 129هـ، إلى بداية رجب سنة 130هـ[1].

• **الانهزام في صنعاء ونهاية الإمامة:** بمقتل أبي حمزة تنفّس الأمويون الصعداء، لأنّه كان الدرع الواقي للإمام طالب الحقّ، فلم يبق للأمويين غير التوجّه إلى اليمن ليكملوا مسيرة التصفية، ففي شمال صنعاء التقى طالب الحقّ بعبد الملك الذي قضى على نفوذ الإمامة الإباضية في الحجاز، فكان لابدّ من الاقتتال في معارك عنيفة، كانت فرصة طالب الحقّ الأخيرة لاسترجاع عزّ إمامته، لكنّ الأمور سارت في غير ما أرادها، وانتهت تلك المعارك بمقتل طالب الحقّ[2] وكثير من أتباعه[3].

وبهذا تنتهي إمامة الظهور الإباضية بقيادة عبد الله بن يحي طالب الحقّ، بعد أن دامت ستة عشر شهرا، منذ إعلان قيامها إلى أفول نجمها، فانحسر من تبقى من أتباعه إلى جنوب الجزيرة العربية وإلى حضرموت.

• **تقييم الإمامة:**

بعد هذا العرض الموجز للوقائع التاريخية المرتبطة بإمامة الإباضية في اليمن وحضرموت، وبعد أن تطرّقنا لأبرز المعارك التي خاضوها ضدّ السلطة الأموية،

---

[1]) ابن ادريسو: **الفكر العقدي**، ص117.

[2]) بعث عبد الملك بن عطية برأس عبد الله بن يحي مع ابنه عبد الملك، ليزفّ البشرى إلى مروان بسقوط إمامة الظهور الإباضية. انظر، مهدي طالب: **الحركة الإباضية**، ص137.

[3]) نفس المرجع والصفحة.

يمكن القول أنّ أبرز الأسباب التي أدّت إلى انحسار الحركة الإباضية بعد انتصاراتها الواسعة ما يلي:

– ضعف الطاقات البشرية والاقتصادية والعسكرية، فلم تكن الجيوش المرسَلة إلى الحجاز تتجاوز الألفين، خصوصا وأنّ هذه الحركة لازالت فتيّة، ولم تعرف الاستقرار بعد.

– التفوّق الواضح للقوات الأموية، لا من حيث العدد ولا من حيث العُدّة، إذ يقول عنها الطبري أنّها بلغت أربعة آلاف فارس.

– عدم تجاوب أهل الحجاز مع الحركة، بحكم الصراعات القبَلية، وكذا التناقض الواسع بين جيش ملتزم بتعاليم الدين، وبين مجتمع قرشي لاه ومنغمس في الملذّات والترف[1].

ويمكن تقييم هذه الإمامة بنظرة نقدية موضوعية[2]، فنقول بأنّ قادتها ارتكبوا أخطاء تكتيكية وأخرى حربية، كانت السبب في أن ينتصر عليهم الأمويون ويهزموهم، ويفتكّوا منهم ثمرة الانتصار قبل أن يستفيدوا منها[3]، فأيّ حرب لا بدّ فيها من وجود أخطاء تسهم في الهزيمة، ولعلّ أهمّها:

– توسّعهم في رقعة الحرب، مع قلّة الإمكانات، في فترة وجيزة جدّا من زمن قيام الإمامة، فقد صرّح زعماؤهم أنفسهم بأنّهم فقراء، ولا يملكون الوسائل الحربية التي

---

[1]) محمد ناصر: منهج الدعوة، ص166.

[2]) بكير أعوشت، المرجع السابق، ص66 فما بعدها.

[3]) نفس المرجع، ص167.

يملكها عدوّهم، فكانوا كما يقول أبو حمزة في خطبته لمّا استولى على المدينة بأنّهم كانوا "يعْتوِرُون راحلة واحدة ولحافا واحدا "[1].

– قلة عدد جنودهم مقارنة بجنود الأمويين الذين بلغوا الآلاف في بعض المعارك، ولا سيما في المعارك التي استردّوا فيها الحجاز وحضرموت واليمن[2]، ورغم تسلّح الجيش الإباضي بعقيدة صلبة خالصة، إلا أنّه وجب دعمها بالمال والسلاح والرجال اللازمين[3].

فلو أنّ قادة الحركة الإباضية في هذه الإمامة اكتفوا باليمن إلى أن يجدوا في أنفسهم قوة في العدد والعدّة، وأن يجدوا موارد اقتصادية يكوّنون بها جيشا مسلّحا، ومجهّزا بما يلزم، لتمكّنوا من الانتصار على الجيش الأموي، ومن تذليل كثير من العقبات التي واجهتهم[4]، خاصة وأن الدّولة الأموية كانت تعيش أيّامها الأخيرة، وكان من الممكن إلحاق الهزيمة بها لو تمّ التخطيط للأمر بشكل أكبر.

– توجيه أبي حمزة لبلْج بن عقبة في 600 مقاتل لمواجهة الجيش الأموي، فلو توجّه جميع الجيش الموجود، بمن فيهم أبو حمزة لكانت نتيجة المعركة بخلاف ما حدث.

– وقع الإباضية في خطإ عسكري من حيث الإشكالية الزمانية والأخلاقية، وكان من الواجب أن يعطوا أهمية قصوى للزمان، بحيث عجّلوا بفتح مكّة والمدينة، بالرغم من أنّ المناخ السياسي العام كان ضدّهم، بسبب التناقض الصارخ بين الإباضية

---

[1]) انظر خطبة أبي حمزة في المدينة، في قسم الملاحق.

[2]) محمد ناصر: المرجع السابق، ص168.

[3]) أعوشت: المرجع السابق، ص67.

[4]) الخوالدي: المرجع السابق، ص50.

الملتزمين عمليا بتعاليم الإسلام، وبين المجتمع الحضاري الحجازي المنغمس في الملذّات الدنيوية جنسا ومالا[1].

وقد كان المناخ الاجتماعي ضدّ الإباضية في مكّة والمدينة، لأنّ الحجازيين كانوا يرون بأنّ وصول الإباضية إلى الحكم سيقضي على امتيازاتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فلو استغلّ الإباضية الوقت الكافي، وركّزوا على تربية الضمير الديني، وبيّنوا الانشطارية التي يعيشها المجتمع الحجازي بين حياة الرسول وحياتهم المترفة لاكتسبوا المعركة اجتماعيا وسياسيا[2].

وفي ضوء هذا، يمكن القول أنّ الإيمان الراسخ في قلوب الإباضية هو الذي جعلهم يسترخصون نفوسهم بكلّ عجلة في ساحة الاستشهاد، دون أن يلجؤوا إلى التأنّي والمراوغات السياسية الماكرة[3]. ويتجلّى ذلك في مقولة أحد دعاة الإباضية في شمال إفريقيا، وهو سلمة بن سعد: " وددت أن يظهر هذا الأمر يعني مذهب الإباضية بالمغرب يوما واحدا من غدوة إلى الليل فما أبالي إن ضُرِبت عنقي "[4]

وخلاصة القول في هذا الفصل، أنّ الاهتمام بالسياسة العسكرية كان له نصيب لدى الإباضية، وبخاصة عند أبرز محطّاتهم وحقبهم التاريخية، ونقصد هنا مسلك الظهور، الذي هو أحوج المسالك إلى وجود القوة الدفاعية والأمنية، وهذا حفاظا على أمنهم الداخلي والخارجي على حدّ سواء، غير أن تلك السياسات العسكرية لم تكن

---

[1]) أعوشت: المرجع السابق، ص67.

[2]) أعوشت: المرجع السابق، ص68.

[3]) نفس المرجع، ص69.

[4]) أبو زكرياء: **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، ص42.

بمستوى واحد، بل كانت متفاوتة بين إمامات الظهور المختلفة موضوع بحثنا: إمامة اليمن وحضرموت، إمامة عمان، وأخيرا إمامة الرستميين بالمغرب الأوسط، من جهة، وبين الحقب الزمنية التي مرّت بها كلّ إمامة.

الخاتمة:

الإباضية، أتباع ذلك المذهب العريق الذي تأسّس في حدود سنة 65هـ، ليشهد بعد ذلك مخاضا عسيرا في ظل التقلبات السياسية والتجاذبات الفكرية التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك، حتى اتضحت معالمه وآراؤه مع مرور الوقت، ويُعتبر التابعيّ الجليل جابر بن زيد الأزدي العُماني إمامه الأوّل، ومرجعه الأساس، كيف لا وكلّ أئمّة المذهب في عصره كانت تُصدر عنه، وتعود إليه في كلّ ما أشكل عليها واختلفت فيه، غير أنّ المذهب نُسب إلى أحد شيوخه الإمام عبد الله بن إباض، لاعتبارات عدّة، فصّلنا فيها الحديث في ثنايا هذا البحث، إذ أنّ أتباع الإمام جابر كانوا يُسمّون أنفسهم بأهل الاستقامة، أو " أهل الدعوة، أو جماعة المسلمين، أو أهل الاستقامة والحق.

تميّز هذا المذهب بمبادئ وعقائد مبنية على أصول ثابتة، مستمدة تعاليمها من القرآن الكريم وسنة الرسول (ص)، لكنّ الخلاف قد يقع حول بعض الآراء في المسائل المُختلَف فيها بين المذاهب، فيكثر الجدل حولها من حيث الصحة والبطلان، ومن حيث قربُها أو بعدها عن أصول العقيدة الإسلامية، وأيّا كانت تلك الآراء، فهي لم تخرج عن دائرة الفكر الإسلامي.

صُنّف أتباع هذا المذهب في خانة المعارضين لكلّ من الخلافتين الأموية والعبّاسية، وهذا ما جعلهم تحت رقابة شديدة، ويعانون من الاضطهاد والملاحقة، فاضطرهم للثورة في كثير من الأحيان ضدّ الظلم والتعسّف الذي سُلّط عليهم،

وجعلهم يقصدون أطراف العالم الإسلامي البعيدة عن أعين السلطة التي طالما زجّت بهم في السجون، وأذاقتهم الويلات، فانتشر المذهب بالأساس في كل من اليمن وحضرموت، وعُمان، إضافة إلى المغربين الأدنى والأوسط.

تحت طائلة الظروف القاسية التي عاشها الإباضية عبر تاريخهم الطويل، من تسلّطٍ وملاحقة واضطهاد من قِبَل أعدائهم، أبدع علماء المذهب وفقهاؤه في إيجاد مَخرج ومنفذ لكل ظرف عاشوه، فأنتجوا لنا فكرا سياسيا دينيا بديعا في هذا المجال، عُرف بمسالك الدّين عند الإباضية؛ إذ بيّن علماؤهم من خلالها كيفية تنفيذ أحكام الدّين، بناء على الظروف التي يعيشونها، وقد قسّموها إلى أربعة مسالك:

1- الظهور: الذي يُعتبر أعلى مراتب الدّين، بأن تكون للإباضية دول ظاهرة وقائمة خاصة بهم، كالإمامة الرستمية بتيهرت، وإمامة عُمان، وإمامة اليمن وحضرموت.

2- الدّفاع: الذي يأتي في المقام الثاني، عند تعرّضهم لأيّ هجوم من طرف أعدائهم، لأيّ سبب كان، فإنّهم يلجؤون إلى هذا المسلك، ويتأهّبون للدفاع عن حُرُماتهم وممتلكاتهم، ومن أمثلة هذا النموذج من مسالك الدين: إمامة أبي حاتم الملزوزي بطرابلس.

3- الشّراء: يأتي هذا المسلك كمرحلة ثالثة من مسالك الدّين، تتفق هذه المرحلة مع مرحلة الدفاع من حيث الأهداف المتعلقة بالإطاحة بالسلطان الجائر، وتصحيح الأوضاع السياسية والاجتماعية، وكذا المطالبة بتنفيذ أحكام الشريعة، لكنّهما تختلفان

في أسلوب التغيير وطريقة التجسيد على أرض الواقع؛ حيث يعتمد الشراة في تحركاتهم على الحيلة والمباغتة والشراسة من أجل تغيير المنكر وتصحيح الأوضاع في أوساط الدولة الفاسدة، ومن أمثلته خروج أبي بلال مرداس مع أصحابه شاريا ضدّ ظلم الأمويين.

4- الكتمان: يُعتبر هذا المسلك أدنى درجات الجهاد في سبيل الله، وفيه تفتُر القوة وتضعف النفوس، فيعجز المسلمون عن ردّ المظالم وإنكار المنكر- إلا بالقلب- فترضى الأمة بالواقع، وتستسلم لحكم الجبابرة، ولا تجد سبيلا للثورة ضد الحُكم، فيضطرّ ذوو الغيرة على الدين حينئذ لكتمان أمرهم، وانعزالهم بعيدا عن المجتمع الفاسد، ويوَجّهون نشاطهم لأمورهم الداخلية، ويكونون بذلك قد دخلوا مرحلة الكتمان، وهو تنظيم خاص للمجتمع الإباضي الذي عجز عن إقامة الدولة، لعدم توفّر الشروط الكافية للظهور. ومن أمثلته: حال إباضية المغربين الأوسط والأدنى بعد سقوط الدولة الرّستمية.

وإذا تتبّعنا مسار الإباضية عبر تاريخهم الطويل وجدناهم في الأغلب الأعمّ يميلون إلى الدّعة والمسالمة، إلاّ أن تُمسّ حدود الله، أو تنتهك حُرُماته، أو يتعرّضون للظلم والجبروت من قبل مناوئيهم وأعدائهم. حينها يتحوّلون إلى أبطال أشاوس، وإلى نماذج للتضحية والجهاد، في سبيل إعلاء كلمة اللّه، والدّفاع عن حقوقهم وحُرماتهم.

وبناء على هذا الأمر، تتبّعنا مسارهم عند مسلك الظهور –أنموذجا– مستفسرين عن مدى اهتمامهم بالسياسات الأمنية، وبالقوات العسكرية، وبإعداد الجيوش المقاتلة، وبعد بحث وتقصٍّ عن الأمر، خلُصنا إلى نتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

- لا تكاد أي دولة من الدّول تخلو من نظام سياسي وكيان عسكري، يحمي ثغورها، ويُؤمّن استقرارها.
- يُعدّ الجيش محورا هاما وركيزة أساسية في قيام الدّول، فبه تردّ الأخطار عن حدودها، وبه تفرض هيبتها على أتباعها وتضمن استقرارها الدّاخلي.
- يرى أئمّة الإباضية الذين شهدوا إقامة إمامات الظهور لديهم أنّ الإمام لا يحتاج إلى جيش نظاميّ دائم قابع في الثكنات، ينتظر الأوامر والتعليمات.
- تتضارب الآراء حول فكرة غياب الجيش الرستمي، فهناك من يرى أنّه كان للدولة الرستمية جيش نظاميّ وكيان عسكري، بينما يرى آخرون أنها لم تكن تتوفر على جيش قائم بذاته.
- بالرغم من أنّ الدولة الرستمية لم تكن لها قوة عسكرية ضاربة، إلاّ أنّها كانت تمتلك جيشا يُعتمد عليه في الدفاع عن حُرمة تيهرت وحدود البلاد.
- كان الجيش الرستمي مؤلَّفا من مجنّدين متطوعين، أي الذين يشتركون في الجيش زمن الحرب فقط، ويُسرَّحون وقت السّلم.
- كان الأئمّة الرستميّون هم من يتولّى قيادة الجيوش، لأنّ الإمام عندهم هو زعيم ديني وسياسي وعسكري، وهو بمثابة القائد الأعلى للقوات المسلّحة بالمفهوم المعاصر، ويتولى بنفسه مراقبة الجيش والإشراف عليه، ويحرص على اختيار الرجال الأكفاء، وأصحاب التأهيل العالي والخبرة الواسعة.

- لم يكن الأئمة الرستميّون يستسيغون اتباع السلطة العسكرية، بل كانوا لا يلجؤون إليها إلا عند الضرورة القصوى، حين نشوب اضطرابات داخلية كالفتن أو الحروب.
- كان جيش الرستميّين يتألّف من الفرسان والمشاة، وكان الفرسان يتسلّحون بالدروع والسيوف والرّماح والحِراب والأقواس والسّهام.
- تلعب التحصينات العسكرية دورا هامّا في حماية المدن؛ إذ كانت تيهرت محاطة بعدد من الحصون والقلاع كحصن الأسرة الرستمية بجوار لواتة، وحصن نفوسة، وحصن قبيلة لواتة.
- من القِيَم التي تحلّى بها الإباضية عموما والرستميون خصوصا في حروبهم، أنّهم إذا انتصروا لا يأخذون من غنائم المسلمين شيئا، ولم يكن الجيش الرستمي يتّبع هاربا، ولم يكونوا يُجهِزون على جريح، وقد حرّموا أموال المنهزمين تحريما قاطعا.
- ارتبطت السياسة العسكرية للإمامة الإباضية بعمان بالأوضاع السياسية، كما أنّ الأوضاع العسكرية أضفي عليها طابع عقائدي، وذلك من خلال تنظيم الشراة الذين جُنِّدوا تحت شعار الجهاد في سبيل الله.
- اقتصرت التنظيمات القتالية في زمن الإمام الجلندي – **زمن الإمامة الإباضية الأولى بعُمان**– على القوات البرية فقط، فلم يمهله الوقت للإعداد لقوة بحرية لحماية سواحل البلاد الطويلة.
- كانت التقسيمات والتشكيلات القتالية كما يلي:

– الإمام: وهو أمير الجيش وقائده الأعلى.

– قُسّمت القوات إلى كتائب، وكل كتيبة تتكوّن من مائتين أو ثلاثمائة أو أربعمائة، وعلى كل كتيبة قائد من أهل الثقة والعلم والمعرفة، والحزم والقوة.

– قُسّمت الكتائب إلى فصائل أو سرايا من عشرة أفراد من الشراة، على كل سريّة مؤدِّب من أهل الفقه، يعلّمهم الفقه والدين، ويؤدّبهم بالمعروف.

- كانت إقامة الجنود في معسكرات خاصة، بعيدة عن المدن.
- كانت أسلحة جيش الشراة تقتصر على الأسلحة التقليدية، وهي السيف والسهم والرّمح.
- كانت الرّوح القتالية لدى الجنود عالية، فهم قد باعوا الدنيا واشتروها بالآخرة.
- كانت رواتب الجند والمقاتلين قليلة جدّا بالنسبة لمستوى المعيشة المرتفع في زمانهم، فكان المرء منهم يُرزَق في الشهر بسبعة دراهم، في عِزِّ غلاء الأسعار، فيصبر على القوت اليسير.
- كانت السياسة العسكرية لدى الإباضيين **زمن الإمامة الإباضية الثانية بعُمان** أكثر وضوحا وتنظيما، فبعد أن كانت قواتهم تقتصر على القوات البرّية، أُضيف لها قطاع القوات البحرية، والمتمثّلة في الأسطول البحري.
- من مبادئ الإباضية عند الحرب، أنّهم لا يبدؤون بقتال من خرج عليهم أو خرجوا عليه من أهل القبلة إلاّ بعد الدّعوة والإعذار والإنذار.
- شهد الأسطول العماني تطوّرا ملحوظا في عهد الإمام غسّان بن عبد الله اليحمدي (192–207هـ/ 807–822م)، لأجل التصدّي لهجمات السفن الهندية على السواحل العمانية.

ختاما لهذا البحث الذي كان عنوانه: **"مسالك الدّين وعلاقته بالسياسة العسكرية عند الإباضية"** نقول بأنّ الإباضية كانت كغيرها من الفرق الإسلامية التي نتجت عن تفرّق المسلمين، وقد كان لها مميّزاتها وآراؤها الاجتهادية في مختلف القضايا التي عاشتها الأمّة الإسلامية، كما أنّ أتباعهم انتشروا في مختلف مناطق العالم الإسلامي مشرقه ومغربه.

وقد سعوا للتكيّف مع مختلف الظروف التي عايشوها، من خلال المسالك التي أبدعوا في التنظير لها "مسالك الدين"، وسعوا لتجسيدها حسب ما كانوا عليه من عدد وعُدّة عبر اختلاف العصور والأزمان.

كما أنّهم لم يغفلوا عن جانب مهمّ من جوانب قيام الدول والحضارات، القوة الدفاعية وتكوين الجيوش، لا سيما وأنّ الأخطار كانت تهدّدهم وتتربّص بهم، فكان لزاما عليهم أن يولوا العناية الكافية لهذا الأمر، لا لأجل التسلّط والتعدّي والتجبّر، ولكن لضمان أمنهم وفرض هيبتهم أمام المناوئين والأعداء.

الملاحق والخرائط

الملحق رقم (1) خلاصة مسالك الدين[1]

	الظهور	الدّفاع	الشراء	الكتمان
الهدف	إقامة الدولة العادلة	الدفاع عن الدين ومحاربة الفساد	الثورة ضدّ الحكم الجائر	المحافظة على الدين وإصلاح المجتمع
دليل المشروعية	ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين	وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون	إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم	أدلّة مشروعية التقيّة
الشرط الواجب	توفّر القوة الكافية في العدد والعُدّة	انتشار الفساد أو ظهور عدوّ	تسلّط حاكم جائر أو مستعمر كافر	أقلية ضعيفة في دولة مخالفة
نوع السلطة	إمام منتخب وحكومة عادلة	إمام ينعزل بانتهاء الحرب	قائد مؤقّت ينتصر أو يموت	سلطة اجتماعية (نظام العزّابة)
أسلوب العمل	تسييس الرعية وإنفاذ أحكام الشرع	المجابهة بالقوة بعد الصدّ والتحذير	الثورة عند الظلم أو المراقبة في السّلم	النشاط الديني والتربوي والاجتماعي
الإمكانيات	السلاح والعلم والمال والرجال	السلاح والرّجال	ما يحتاج إليه الفدائي من قوة الإيمان	العلماء والمؤسسات الثقافية والاجتماعية
المثال	الدولة الرستمية	أبو حاتم الملزوزي	أبو بلال مرداس بن حُدير	إباضية المغربين الأدنى والأوسط بعد الدولة الرستمية.

[1]) عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، جمعية التراث، القرارة، د.تا، ص175.

ملحق رقم (2)

خطبة الإمام طالب الحقّ بصنعاء[1]

ودخل عَبْد الله بن يحيى صنعاء، فأخذ الضحاك بن زمل، وَإِبْرَاهِيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فحبسهما، ثُمَّ جمع الخزائن والأموال فأحرزها، وأرسلَ إلى الضحاك وَإِبْرَاهِيم فأطلقهما، وقال: إنّما حبستكما مخافة عليكما من العامة، وليس عليكما مكروه، فأقيما أو اشخصا، فخرجا.

ولَمّا استولى عَبْد الله بن يحيى عَلَى بلاد اليمن خطب فقال: " الحمد لله المتحمد بالآلاء، المنّان بالنعماء، ذي الأمر الغالب، والدين الواصب، أحمده فِي الضرّاء، وأشكره فِي السرّاء، وأستعينه عَلَى احتجاجه علينا، وأستهديه لِما يرضيه، وأؤمن به إسلامًا وإيمانًا، وأشهدُ أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله المصطفى ونبيّه المرتضى، أرسله بالحق عَلَى حين فترة من الرسل وكفر من الملل، واختلاف من الدول، والتباس من الحق، وانسحاق من الصدق، وظهور من الأعداء، وبُعْدٍ من الألفة، وأنزلَ عليه الكتاب، وشرع له الشرائع، وفرض له الفرائض، فقام بأمر الله صادعًا بالحق ناطقًا به، زاجرًا عَن الشبهات، داعيًا إلى النجاة، مجاهدا للمعاندين، رءوفا بالمؤمنين، عزيزًا عليه عَنَتُهم، حبيبًا إليه صلاحهم، حَتَّى كمل الإيمان، وأُخسئ الشيطان، وظهر النور، وزهق الباطل، وذل الكفر، وانقطعت الأحقاد، وسلمت الصدور، فجمعهم بعد التفرق، وأمنهم بعد الخوف، فأصبحوا عَلَى نعمٍ مذكورة، وكرامة مشهورة، ودين مقبول، وعلم محمول. ثُمَّ قبضه الله إليه فقيدًا، واختار له ما عنده حَميدًا، صلى الله عليه وعلى ذكره السلام، ورحمة الله وبركاته.

---

[1]) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص287.

ملحق رقم (3)
خطبة أبي حمزة بمكة[1]

وخطب أبو حمزة الشاري بمكة حرسها الله فصعد المنبر متنكبا قوسا عربية، فخطب خطبة طويلة فقال:

" يا أهل مكة تعيروني بأصحابي تزعمون أنهم شباب؟ وهل كَانَ أصحاب رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا شبابا؟ أما إني عالم بتتايعكم فيما يضركم فِي معادكم، ولولا اشتغالي بغيركم ما تركت الأخذ فوق أيديكم، نعم شباب مكتهلون فِي شبابهم، ثقال غبية عَن الشر أعينهم، بطية عَن الباطل أرجلهم، قد نظر إليهم فِي جوف الليل منثنية أصلابهم بمثاني القرآن، إذا مر أحدهم بآية فِيهَا ذكر الجنة بكى شوقا إليها، وإذا مر بآية فِيهَا ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم فِي أذنيه، قد وصلوا كلالهم بكلالهم: كلال ليلهم بكلال، نهارهم قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام، مستقلين لذلك فِي جنب اللَّه، موفون بعهد اللَّه، منجزون لوعد اللَّه إذا رأوا سهام العدو فوقت، ورماحهم قد أشرعت، وسيوفهم قد انتضيت، وأبرقت الكتيبة وأرعدت بصواعق الموت، استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد اللَّه، مضى الشاب منهم قدما حَتَّى تختلف رجلاه عَن عَنق فرسه، قد رملت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه فِي الثرى، وأسرعت إليه سباع الأرض، فكم من عين فِي منقار طائر طال ما بكى صاحبها من خشية اللَّه، وكم من كف قد بانت بمعصمها طالما اعتمد عليها صاحبها فِي سجوده فِي جوف الليل لله، وكم من خد رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد، رحمة اللَّه عَلَى تلك الأبدان، وأدخل أرواحها الجنان، ثم قَالَ: النَّاس منا ونحن منهم، إلا عابد وثن أو كفرة أهل الكتاب أو سلطانا جائرا أو شادا عَلَى عضده...

[1]) الأصفهاني: الأغاني، ج23، ص-ص 196-199.

ملحق رقم (4)

خطبة أبي حمزة الشاري في المدينة[1]

وبلغ أبا حمزة أن أهل المدينة يعيبون أصحابه، لحداثة سنهم وخفة أحلامهم، فصعد المنبر وعليه كساء غليظ وهو متنكب قوسا عربية، فحمد الله و أثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وآله ثم قال:

" يا أهل المدينة قد بلغني مقالتكم لأصحابي ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم لأحسنت أدبكم، ويحكم، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب وبين له فيه السنن وشرع له فيه الشرائع وبين له فيه ما يأتي وما يذر، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن أمر الله، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم، وقد أدى الذي عليه وعلم المسلمين معالم دينهم ولم يدعهم من أمرهم في شبهة.

ذكر أبو حمزة الخلفاء الراشدين وخصالهم بل أعمالهم وترحم عليهم، أما الأمويين فقد عابهم واستنكر أعمالهم، فلعنهم باستثناء عمر بن عبد العزيز، فلم يذكره لا بخير ولا بشر وحمل على آل مروان وعلى الشيعة فكفرهم.

'فأي هذه الفرق يا أهل المدينة تتبعون؟ أم بأي مذاهبهم تقتدون؟ وقد بلغني أنكم تنتقصون أصحابي! قلتم هم شباب أحداث وأعراب جفاة، ويحكم يا أهل المدينة، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، المذكورون في

---

[1]) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج2، ص105.

الخير إلا شبابا أحداثا ؟ أما والله إني لعالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم، ما تركت الأخذ فوق أيديكم، شباب والله مكتهلون في شبابهم،غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنضاء عبادة وأطلاح سهر، باعوا أنفسا تموت غدا، بأنفس لا تموت أبدا ، قد نظرالله إليهم في جوف الليل، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، ووصلوا أكلال الليل بكلال النهار، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام، مستقلون لذلك في جنب الله، موفون بعهد الله منحزون لوعد الله، حتى إذا رأو سهام العدو قد فوقت ورماحهم وقد أشرعت وسيوفهم وقد أنتضيت وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة، ولقوا شبا الأسنة وشائك السهام وظبات السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدما، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه بالثرى وانحطت عليه طير السماء وتمزقته سباع الأرض، فطوبى لهم وحسن مآب، فكم من عين في منقار طائر، طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعا وساجدا، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بغمد الحديد، ثم بكى وقال : آه آه على فراق الإخوان، رحمة الله على تلك الأبدان، وادخل أرواحهم الجنان"

ملحق رقم (5): نفوذ الإباضية في عهد إمامة اليمن[1]

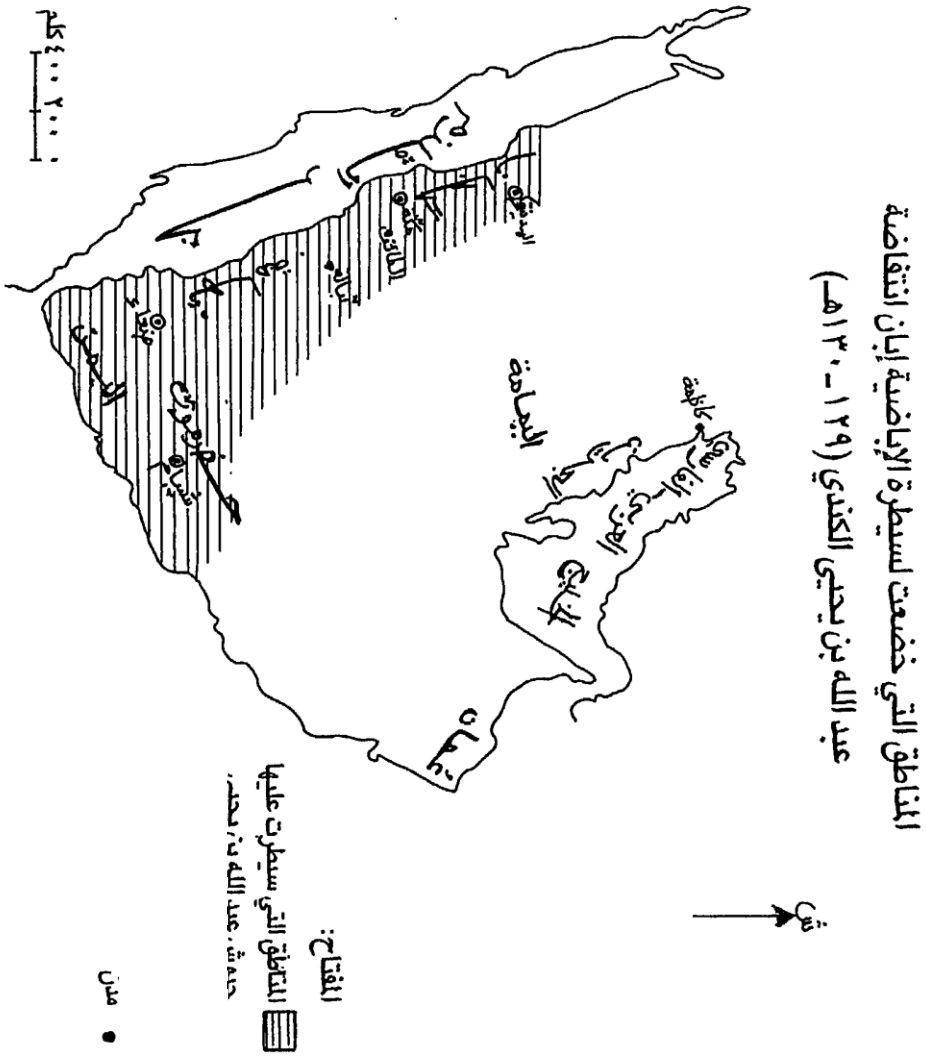

المناطق التي خضعت لسيطرة الإباضية إبان انتفاضة عبد الله بن يحيى الكندي (١٢٩ - ١٣٠هـ)

[1]) لطيفة البكّاي: حركة الخوارج نشأتها وتطورها، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2001، ص278

ملحق رقم (6)

رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى شيوخ الإباضية بالمغرب[1].

بسم الله الرحمان الرحيم. صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أتاني كتابكم تذكرون فيه ما منّ الله به عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم، ولعمري ما أكثرتهم وإن كثرواْ بأكثر ممّن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم، فاقتدوا بهم يهونوا عليكم كثرتهم على إخلافكم. نسأل الله العون والتوفيق في جميع أموركم، وأن يكفنا وإياكم بأسهم، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم، فلعمري لقد أسرّني ما انتهيتم إليه من أمركم، وإن كان ذلك لم يخف عنّا، غير أنّا لم نظنّ الذي كتبتم به إليّ، والله يستتمّ لكم الخير كلّه بعونه وتوفيقه.

أتانا كتابكم بمسائل، فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها، ومنها ما رأيت ألاّ نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير، إلاّ الذي رأيته أصلح لجماعتكم، وأقوم لشأنكم، وأرفق لضعيفكم، وأعطف في الذي أجيبكم فيه، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطإ في رواية أو خبر أو غير ذلك فمن نفسي.

أستغفر الله من جميع ما ليس هو له رضى .....

ذكرتم في كتابكم العشر وكيف جمعه ، واعلموا رحمكم الله أنّه[1] ...إلخ.

---

1) محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي، ص311.

ملحق رقم (7)

قائمة أسماء أئمة عُمان[2]

الإمام	فترة حكمه
الجلندى بن مسعود	132-134هـ/749-751م
محمد بن أبي عفان	177-179هـ/793-795م
الوارث بن كعب الخروصي	179-192هـ/ 795-807م
غسان بن عبدالله اليحمدي	192-207هـ/807-822م
عبدالملك بن حميد العلوي	207-226هـ/822-840م
المهنا بن جيفر اليحمدي	226-237هـ/840-851م
الصلت بن مالك الخروصي	237-272هـ/851-886م
راشد بن النظر اليحمدي	272-277هـ/886-890م
عزان بن تميم الخروصي	277-280هـ/890-893م

1) يستطرد الإمام أبو عبيدة في الإجابة على تساؤلات تلاميذه بالمغرب، وفقا لتعاليم المذهب الإباضي.

[2]) بكير وعلي: الإمامة عند الإباضية، ص512.

ملحق رقم (8)

أئمة الدولة الرستمية[1]

اسم الإمام	فترة حكمه
عبد الرحمن بن رستم	160-171هـ
عبد الوهاب بن عبد الرحمن	171- 208هـ
أفلح بن عبد الوهاب	208- 258هـ
أبو بكر بن أفلح	258- 261هـ
أبو القظان محمد بن أفلح	261- 281هـ
أبو حاتم يوسف بن محمد	281- 294هـ.

[1]) بكير وعلي: المرجع السابق، ص519.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

أوّلا : المصادر .

*** القرآن الكريم**

*** المصادر الإباضية :**

البرادي (أبو القاسم محمد بن إبراهيم):

1- الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات، طبعة حجرية، قسنطينة، 1302 هـ.

الجناوني (أبو زكريا يحي):

2- كتاب الوضع، ط1، مطبعة الفجالة، القاهرة، د.تا.

الدرجيني (أبو العبّاس أحمد بن سعيد):

3- طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974 م.

أبو زكرياء (يحي بن أبي بكر):

4- كتاب سير اللأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

ابن سلام الإباضي:

5- كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق قيرز شفارنس والشيخ سالم بن يعقوب، دار صادر، بيروت، 1986م.

الشقصي (خميس بن سعيد):

6- منهج الطالبين وبلاغ الرّاغبين، تح: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، د.تا.

الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد):

7- كتاب السير، طبع حجري، قسنطينة، الجزائر، 1301هـ.

الشماخي (بدر الدين): مقدمة التوحيد وشرحها، دار الحكمة، لندن، 2016.

8- كتاب الموجز " آراء الخوارج الكلامية": تحقيق عمّار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978 م.

الكندي (محمد بن إبراهيم):

9- بيان الشرع، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1984.

الوارجلاني (أبو يعقوب):

10- الدليل والبرهان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983.

*** المصادر غير الإباضية:**

ابن الأثير (عزّ الدين أبو الحسن بن علي بن أبي الكرم):

11- الكامل في التاريخ، دار صادر وبيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1965م.

الأصفهاني (أبو الفرج):

12- الأغاني، تح: علي السباعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.تا.

البكري (أبو عبيد الله):

13- المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857م.

14- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

البلاذري (أحمد بن يحي):

15- أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكّار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996.

الحموي ياقوت:

16- معجم البلدان، ليبزغ، 1873.

ابن خلدون عبد الرحمان:

17- العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1961م.

ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن):

18- جمهرة اللغة، حيدر أباد، 1344هـ.

الرقيق القيرواني:

19- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، مطبعة الوسط، تونس، 1967م.

ابن الصغير:

20- أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):

21- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1960م.

ابن عبد الحكم (عبد الرحمان بن عبد الله):

22- فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع، مكتبة دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968م.

البغدادي عبد القاهر:

23- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982.

ابن عذاري المراكشي (أبو عبد الله محمد):

24- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج، س كولان وا. ليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، 1948م.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم):

25- الإمامة والسياسة وهو المعروف بتاريخ الخلفاء، ط2، مطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر، 1957م.

ابن كثير الحافظ:

26- البداية والنهاية، ط3، مكتبة المعارف، بيروت، 1981.

القيرواني الرقيق:

27- تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، مطبعة الوسط، تونس، 1967، ص143

المقديسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البنّا):

28- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1906م.

المسعودي (علي بن الحسن):

29- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط4، بيروت، 1981.

ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي):

30- لسان العرب، بيروت، د.ت، ج3.

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب):

31- تاريخ اليعقوبي، مطبعة النجف، 1964.

ثانيا: المراجع الحديثة.

ابن ادريسو مصطفى:

32- الفكر العقدي عند الإباضية، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2003م.

اسماوي صالح عمر:

33- العزّابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2005م.

أطفيش امحمد بن يوسف:

34- الرسالة الشافية، الجزائر، د.تا.

35- الذهب الخالص المنوَّه بالعلم القالص، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343هـ.

36- شرح عقيدة التوحيد، تحقيق مصطفى وينتن، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 2001.

37- شرح كتاب النيل وشفاء العليل، ج14، ط2، دار الفتح، بيروت، 1972.

38- الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان، طبعة حجرية، 1304هـ.

أعوشت بكير بن سعيد:

39- دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ط3، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1988.

40- حركة أهل الدعوة والاستقامة في مكة والمدينة، المطبع العربية، غرداية، 1992.

أمبوسعيدي عبد الله بن سعود:

41- الإباضية في عمان، دار الأمل، عمان، 2003

باجية صالح:

42- الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة، تونس، 1972م.

البارونـي أبو الربيع سليمان:

43- مختصر تاريخ الإباضية، ط2، تونس، 1938م.

البارونـي سليمان بن عبد الله:

44- الأزهار الرياضية في أئمّة وملوك الإباضية ، ج 2، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.تا.

بورويبة رشيد، **لقبال** موسى وآخرون:

45- الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3

بحّاز إبراهيم بكير:

46- الدولة الرستمية، جمعية التّراث، غرداية، الجزائر، 1993م.

بن عميرة محمد:

47- دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

البكاي لطيفة:

48- حركة الخوارج نشأتها وتطورها، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2001.

بكلي عبد الرحمان:

49- فتاوى البكري، ج2، المطبعة العربية، غرداية، 1983.

التلاتي عمر بن رمضان:

50- نخبة المتين من أصول تبغورين، ضمن كتاب تحت عنوان: " كتب مختارة "، المطبعة العربية، غرداية، د.تا.

الثميني عبد العزيز:

51- معالم الدين في الفلسفة وأصول الدّين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1986، ج2،

الجعبيري فرحات:

52- نظام العزّابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس، 1975.

53- أبو حمزة الشاري، حياة من أجل الحقّ، المطابع الذهبية، سلطنة عمان، د.تا

جغلول عبد القادر:

54- تاريخ الجزائر والمغرب العربي، تر: فضيلة الحكيم وآخرون، ذاكرة النّاس، 2013م، مج1.

جهلان عدون:

55- الفكر السياسي عند الإباضية، جمعية التراث، القرارة، د.تا

الجيلالي عبد الرحمان بن محمد:

56- تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

الحارثي سالم بن حمد:

57- العقود الفضية في أصول الإباضية، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 2017

الحريري محمد عيسى:

58- الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.

حساني مختار:

59- التنظيم العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن16، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص201.

حسين أحمد إلياس:

60- الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري، عمان، 1992م.

حسين طه:

61- الفتنة الكبرى علي وبنوه، دار المعارف، القاهرة، د.تا

خليفات عوض:

62- نشأة الحركة الإباضية، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، 1978م.

63- التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، سلطنة عمان، د.تا

64- الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط2، المطبعة الشرقية، سلطنة عمان، د.تا

دبّوز محمد علي:

65- تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1963م.

الزركلي خير الدين:

66- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط6 بيروت، 1986 ج 6

السالمي عبد الله بن حميد:

67- اللُّمعة المرضيّة من أشعة الإباضية، ط1، ذاكرة عمان، مسقط، 2014

68- تحفة الأعيان بسيرة أه عمان، تع: إبراهيم أطفيش، ط2، مطبعة الشباب، القاهرة، 1250هـ، ج1

السالمي محمد عبد الله:

69- عمان تاريخ يتكلّم، دار دمشق للنشر، 1963

السيابي سالم بن حمود:

70- إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تح سيدة إسماعيل كاشف، مطبعة سجلّ العرب.

71- طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1980.

الشكعة مصطفى:

72- إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، 1997

الصوافي صالح:

73- الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة، مط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983.

طالبي عمار:

74- آراء الخوارج الكلامية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ج1، ص44.

عبد الكريم يوسف جودت:

75- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

76- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر

العبيدلي أحمد:

77- الدولة العمانية الأولى، دار جريدة عمان، 1996

عمّورة عمّار:

78- الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج1، ص78.

العوتبي سلمة بن مسلم:

79- الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط3، 1992.

فاروق عمر:

80- التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ط2، دار اقرأ، بيروت، 1985

القاسمي ظافر:

81- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس، ط4، 1982، ج1، ص166.

قرقش محمد:

82- عُمان والحركة الإباضية، مكتبة مسقط، ط2، 1994، ص52.

الكندي ماجد بن محمد:

83- صفحات مشرقة من تاريخ المذهب الإباضي، ط3، 2013

محمود إسماعيل عبد الرازق:

84- الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي، دار الثقافة، المغرب، 1985م.

المدني أحمد توفيق:

85- كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

مزهودي مسعود:

86- جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010.

معمّر علي يحي:

87- الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتّاب المقالات في القديم والحديث، مكتبة وهبة، القاهرة، 1976م.

88- الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، الإباضية في ليبيا، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1964م.

89- الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، 1979م.

90- الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1985،

مهدي محمد حسن:

91- الإباضية نشأتها وعقائدها، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 2011

ناصر محمد صالح:

92- حلقة العزّابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، مكتبة الضامري، عمان، 1990م.

93- منهج الدعوة عند الإباضية، ط3، مكتبة الرّيام، الجزائر، 2007م.

النامي عمرو خليفة:

94- دراسات عن الإباضية، تر: ميخائيل خوري، مر: ماهر جرّار، تع: محمد ناصر، صالح باجو، ط2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012.

هاشم مهدي طالب:

95- الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة، لندن، 2001م.

وعلي بكير بالحاج:

96- الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق، جمعية التراث، غرداية، 2001.

ثالثا: المراجع المترجمة

كاستيلان جورج:

97- تاريخ الجيوش، تر: كمال دسوقي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1950.

رابعا: الرسائل الجامعية

حسب الله عبد الرحمان:

98- جماعات الخوارج في بلاد المغرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 1987م.

الخوالدي محمد بن سالم:

99- الإمام طالب الحقّ ومنهجه الدّعوي، بحث تخرّج من معهد العلوم الشرعية، سلطنة عمان، 2009.

رابعا: المجلاّت

100- مجلة المعارف: عدد 01، ماي، 1993م:

مزهودي مسعود: جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط الدولة الرستمية.

101- مجلة الآداب والعلوم الإنسانسة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، العدد9، قسنطينة، 2008.

بحاز إبراهيم: السياسة العسكرية عند الرستميّين.

102- دورية كان التاريخية، دار ناشري، العدد13، باتنة، 2011.

عشّي علي: الجيش الرستمي "دعوى الغياب ومقتضى الحضور.

103- مجلة الأصالة، الملتقى 11 للفكر الإسلامي، بيروت.

إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين.

خامسا: المعاجم

بحّاز إبراهيم وآخرون:

104- مُعجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1999م.

العيس سالم سليمان:

105- المعجم المختصر للوقائع، ط1، دار النمير، دمشق، 1998

سابعا: المراجع الأجنبية

106- **Cuperly** Pierre: Profession de Foi Ibadite, Contribution à l'étude de l'Ibadisme sa Théologie, Université de Paris Sorbonne, Thèse de Doctorat d' état, Paris, 1982.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	7
الفصل الأول: المذهب الإباضي	16
المبحث الأول: الظروف التاريخية لنشأة المذهب	17
المبحث الثاني: أصل تسمية المذهب	25
المبحث الثالث: أهم عقائد المذهب الإباضي	28
أولا: الأصول التسعة	29
1- التوحيد	29
2- العدل	30
3- القضاء والقدر	31
4- الولاية والبراءة	31
5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	32
6- الوعد والوعيد	32
7- المنزلة بين المنزلتين	33
8- لا منزلة بين المنزلتين	33
9- الأسماء والأحكام	33

ثانيا: بعض المسائل الخلافية:	34
1- الإيمان عقيدة وقول وعمل	34
2- رؤية الله تعالى	35
3- الخلود	35
4- خَلْق القرآن	35
5- الإمامة	35
6- الإمامة أربعة أنواع	36
المبحث الرابع: أتباع المذهب في المشرق والمغرب	36
1- في المشرق	36
2- في المغرب:	42
أ- أسباب قدوم الإباضية إلى بلاد المغرب:	42
ب- سلمة بن سعيد وحملة العلم ودورهم في نشر المذهب الإباضي ببلاد المغرب:	44
ج- إمامة أبي الخطاب بطرابلس: (140 -144هـ) (757 - 761م)	49
الفصل الثاني: الإمامة أو ما يُعرف بمسالك الدين عند الإباضية	57
المبحث الأول: مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها	58
1- مفهومها	58
2- مشروعيتها	59
3- شروطها	59
المبحث الثاني: المعنى الاصطلاحي لـ "مسالك الدين" والفكر التنظيري له	60
مفهوم المسالك: * لغة * اصطلاحا	60

المبحث الثالث: مسلك الظهور	62
1- علاقة الإباضية بالأمم في مرحلة الظهور	63
2- علاقة الإباضية بأهل الخلاف في مرحلة الظهور	64
المبحث الرابع: مسلك الدفاع	65
1- أسباب عقد إمامة الدّفاع	66
2- نتائج مسلك الدفاع	67
المبحث الخامس: مسلك الشراء	68
1- شروط مسلك الشراء	69
2- أهداف الشراة:	71
المبحث السادس: مسلك الكتمان	72
1- التنظيم الاجتماعي للإباضية في مرحلة الكتمان	74
2- حلقة العزّابة، نشأتها ودورها في المجتمع الإباضي.	74
أ- أبو عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي ودوره في تأسيس حلقة العزّابة.	75
ب- دور حلقة العزّابة في حفظ كيان الإباضية	76
الفصل الثالث: السياسة العسكرية للإباضية ومسالك الدين – مسلك الظهور أنموذجا –	78
المبحث الأول: الدولة الرستمية ومدى اهتمامها بالجيش	80
1 – ممهدات بناء مدينة تيهرت	80
2 – بناء االعاصمة تيهرت	83
3- مبايعة عبد الرحمان بن رستم بالإمامة ونشأة الدولة الرستمية	86
4- السياسة العسكرية لدى الرستميّين	87

المبحث الثاني: الإمامة الإباضية في عمان وسياساتها العسكرية	91
1- عُمان الاسم والموقع	91
أ- اسم عُمان	91
ب- الموقع	92
2- مهاد تاريخي قبل ظهور الإمامة الإباضية بعُمان	92
3- قيام الإمامة الإباضية في عمان وأبرز ملامح سياستها العسكرية	96
❖ السياسة العسكرية لدى إمامة عمان	100
• عهد الإمامة الإباضية الأولى بعُمان	100
• عهد الإمامة الإباضية الثانية	101
- أ- الجيش البرّي	102
- ب- الأسطول البحري	104
المبحث الثالث: الإمامة الإباضية في اليمن وحضرموت ومنطلقاتها في السياسة العسكرية	107
1- الجذور التاريخية لانتشار الدعوة الإباضية في حضرموت واليمن	107
2- الإعداد للثورة على الأمويين	107
3- إعلان إمامة الظهور باليمن	110
❖ السياسة العسكرية للإمامة الإباضية في اليمن	113
• دخول حضرموت	113
• الانتصار في صنعاء	114
• انتقال الإباضية إلى الحجاز	115

• معركة وادي القُرى وبداية تراجع الإباضية	117
• الانهزام في مكّة	118
• الانهزام في صنعاء ونهاية الإمامة	119
• تقييم الإمامة	119
الخاتمة	124
الملاحق والخرائط	131
الملحق رقم (1)	132
الملحق رقم (2)	133
الملحق رقم (3)	134
الملحق رقم (4)	135
الملحق رقم (5)	137
الملحق رقم (6)	138
الملحق رقم (7)	139
الملحق رقم (8)	140
قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث	141
فهرس المحتويات	154